من كتاب الكلمات

اللؤلؤ والمرجان

من حكم بديع الزمان

سعيد النورسي

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٣/٩/ ٣١٤٧)

٢١١
جرار، مأمون فريز
اللؤلؤ والمرجان من حكم بديع الزمان- مأمون فريز جرار ـ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٣.
(١٩٦) ص
ر.أ: (٢٠١٣/٩/٣١٤٧).
الواصفات:/الثقافة الإسلامية//الإسلام/

❖ **يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.**

ISBN ٩٨٧-٩٩٥٧-٧٧-١٨٤-٣ ردمك

دار المأمون للنشر والتوزيع

العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail : daralmamoun2005@hotmail.com

من كتاب الكلمات

اللؤلؤ والمرجان

من حكم بديع الزمان سعيد النورسي

الدكتور

مأمون فريز جرار



دار المأمون للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بدأت منذ سنوات صلتي برسائل النور التي ألفها العالم الرباني والداعية الملهم والإمام المجدد : بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله وأجزل مثوبته (١٨٧٧ – ١٩٦٠)

سعيد النورسي وهبه الله تعالى عقلا كبيرا ، وذاكرة واعية عجيبة ، وقدرة على الفهم والتحليل والتركيب تلفت النظر ، وخيالا محلقا ، إنه يسيح بك في آفاق الوجود ، يكشف لك حجاب الغفلة عن آيات الله ، يضع يدك على دلائل القدرة الربانية ، ويلفت نظرك وحواسك إلى تجليات الأسماء الحسنى في كل ما تدركه ، يصلك بمنابع النور ، ويجعلك والحقيقة رأي عين ، يغوص بك في أعماق الذرات ، ويحلق بك في آفاق المجرات ، في رحلة يقين تريك كل شيء من حولك مثلك عبدا لله مسبحا ذاكرا فيمتلئ قلبك أنسا ،وعقلك يقينا ، ونفسك رضى وطمأنينة ، فلا تحس وحشة من شيء أو في شيء ، كيف وأنت وإياهم ساجدون في محراب الكون ؟ صافون في مسجد الوجود ؟ ذاكرون في حلقة ذكر يسبح الله فيها كل المخلوقات؟

سعيد النورسي في رسائل النور يسعى إلى إحياء الإيمان في القلب ، وحين يحيا الإيمان يدرك الإنسان معنى العبودية لله ، فيرفض ما سواه ، ويسعى إلى أن تكون حياته في الدنيا على المنهج الرباني ، وعلى منهج الرسول الخاتم محمد عليه وآله الصلاة والسلام .

سعيد النورسي في رسائل النور ليس شيخا صوفيا ولا صاحب طريقة بل هو داعية إلى الحقيقة القرآنية يرى أنك من خلال القرآن الكريم تستطيع الوصول إلى الحقيقة بخطوات أربع هي :

العجز أمام الله والإحساس بأنه لا حول لك ولا قوة إلا به ، فتتخلص من فرعونية النفس وتورم الأنا.

والخطوة الثانية الفقر إليه سبحانه ، فهو الغني الذي بيده خزائن السماوات والأرض ، وكل ما عند المخلوقات فهو منه ، وعلى قدر إحساسك بالفقر أمامه سبحانه يكون غناك به .

والخطوة الثالثة هي الشفقة التي تملأ القلب حبا للناس والأشياء وحرصا على كل خير .

والخطوة الرابعة التفكر الذي يكشف حجاب الألفة وستار الغفلة ويريك الآيات التي تملأ الوجود

وفي كل شيء له آية   تدل على أنه واحد

لقد وقف بديع الزمان سعيد النورسي في وجه موجة الإلحاد التي ضربت تركيا بعد إلغاء الخلافة ، ومع أنه قضى سنوات عمره منذ عام ١٩٢٣ حتى وفاته سنة ١٩٦٠ في نفي وإقامة جبرية ومحاكمات متتالية ومحاولات تسميم بلغت أكثر من خمس عشرة مرة فقد نجاه الله من كل سوء وسخره لخدمة دينه ولتكون رسائل النور الكوكب الساري في ليل الإلحاد ، والفجر الصادق في تاريخ تركيا الحديثة

وما نشهده في السنوات الأخيرة من تحولات ظاهرة في المجتمع التركي هو ثمرات تلك السنوات الطويلة من الجهاد المعنوي لإحياء الإيمان بنور القرآن وتفسيره تفسيرا حيا في رسائل النور.

ومنذ عرفت رسائل النور سعيت ومازلت إلى تعريف الناس بها ليقبسوا من نور الإيمان فيها ، ولتتجلى لهم آثار الإعجاز القرآني في ما تجلى فيها من دلائل تحمل اليقين إلى العقول ، والطمأنينة إلى القلوب .

لقد كتبت عنها وعن مؤلفها ، وأذعت حلقات منها في أكثر من إذاعة ، بل سجلتها صوتيا بفضل الله وتوفيقه.

وها أنا في هذه السلسلة من المقالات أستخلص من رسائل النور درر الحكمة ، ومرجان الأفكار ، أقدمها إلى القراء في هذا الشهر العظيم شهر رمضان المبارك لتكون زادا إيمانيا مباركا ، وأرجو أن أكون قد وفقت في اختياراتي التي لن تنتهي مع نهاية هذا الشهر الكريم بل تمتد إلى ما بعده بإذن الله ، لأننا نتجول في قريب من خمسة آلاف صفحة فيها من الثمرات اليانعة والأزهار الفواحة ما هو من ثمرات القرآن الكريم وآيات الله تعالى وتجليات أسمائه المبثوثة في هذا الوجود الفسيح ، فعسى الله تعالى أن يعين على إتمام هذا العمل ليكون جسرا بين الناس ورسائل النور تقربها إليهم وتحببهم بها ليقبلوا عليها ويفيدوا منها ،وقد سميت هذا العمل :

(اللؤلؤ والمرجان من حكم بديع الزمان سعيد النورسي) وعسى أن يكون العنوان مطابقا للمضمون . وبالله التوفيق .

رمضان ١٤٣٢ آب ٢٠١١

كان ما سبق المقال الافتتاحي لسلسلة اللؤلؤ والمرجان التي بدأتها في جريدة الدستور الأردنية وما زلت مستمرا ، ولله الحمد ، وأسأل الله تمام النعمة وإخلاص النية .

وها هو الجزء الأول من اللؤلؤ والمرجان الخاص بما استخلصته من كتاب الكلمات، أرجو أن تتبعه أجزاء أخرى ، وأرجو أن أكون قد وفقت في ما عملت ، من وضع عنوان لكل فقرة مستخلصة ، يكشف عن مضمونها ويقربها إلى القارئ ،وما قمت به من اقتطاف النصوص من سياقاتها .

وما قمت به هو جهد بشري يعتريه النقص والخطأ ، فأستغفر الله من ذلك، وأرجو ألا يبخل علي القراء بملحوظاتهم ليكون عملي في صورة أتم ، والله الموفق والهادي ، وله الفضل والمنة أولا وآخرا .

عمان / الأردن

شوال ١٤٣٤ / آب ٢٠١٣   مأمون فريز جرار

من الكلمة الأولى

بسم الله

((بسم الله)) رأس كل خير وبدء كل أمر ذي بال ، ... إن هذه الكلمة الطيبة المباركة كما أنها شعار الإسلام، فهي ذكر جميع الموجودات بألسنة أحوالها نعم! إن هذه الكلمة الطيبة ((بسم الله)) كنز عظيم لا يفنى أبداً، إذ بها يرتبط((فقرك)) برحمة واسعة مطلقة أوسع من الكائنات.

ويتعلق ((عجزك)) بقدرة عظيمة مطلقة تمسك زمام الوجود من الذرات إلى المجرات، حتى إنه يصبح كل من عجزك وفقرك شفيعين مقبولين لدى القدير الرحيم ذي الجلال .

إن الذي يتحرك ويسكن ويصبح ويمسي بهذه الكلمة ((بسم الله)) كمن انخرط في الجندية؛ يتصرف باسم الدولة ولا يخاف أحداً، حيث إنه يتكلم باسم القانون وباسم الدولة، فينجز الأعمال ويثبت أمام كل شيء.

الموجودات ... تؤدي وظائفها باسم الله

البذيرات المتناهية في الصغر تحمل فوق رؤوسها باسم الله أشجاراً ضخمة وأثقالاً هائلة.

كل شجرة تقول: ((بسم الله)) وتملأ أيديها بثمرات من خزينة الرحمة الإلهية وتقدمها إلينا..

وكل بستان يقول: ((بسم الله)) فيغدو مطبخاً للقدرة الإلهية تنضج فيه أنواع من الأطعمة اللذيذة..

وكل حيوان من الحيوانات ذات البركة والنفع . كالإبل والمعزى والبقر . يقول: ((بسم الله)) فيصبح ينبوعاً دفاقاً للّبن السائغ، فيقدم إلينا باسم الرزاق ألطف مغذّ وأنظفه..

وجذور كل نبات وعشب تقول ((بسم الله)) وتشق الصخور الصلدة بسم الله وتثقبها بشعيراتها الحريرية الرقيقة فيُسخّر أمامها بسم الله وبسم الرحمن كل أمر صعب وكل شيء صلد!.

فما دام كل شيء في الوجود يقول معنىً ((بسم الله)) ويجلب نِعَم الله بسم الله ويقدمّها إلينا، فعلينا أن نقول أيضاً :

بسم الله

ونعطي بسم الله

ونأخذ بسم الله

وعلينا أيضاً أن نردّ أيدي الغافلين الذين لم يعطوا بسم الله .

ثمن النعم

إن المنعم الحقيقي يطلب منا ثلاثة أمور ثمناً للنعم الغالية:

الأول: الذكر.. الثاني: الشكر.. الثالث: الفكر..

فـ ((بسم الله)) بدءاً هي ذكرٌ و((الحمد لله)) ختاماً هي شكرٌ، وما يتوسطهما هو ((فكر)) أي التأمل في هذه النعم البديعة، والإدراك بأنها معجزة قدرة الأحد الصمد وهدايا رحمته الواسعة...

فهذا التأمل هو الفكر.

من الكلمة الثانية

الدنيا في نظر المؤمن

المؤمن الذي يعرف خالقه حق المعرفة ويؤمن به، (الدنيا) في نظره دار ذكر رحماني، وساحة تعليم وتدريب البشر والحيوان، وميدان ابتلاء واختبار الإنس والجان

الموجودات في نظر المؤمن

الموجودات كلها . في نظر هذا المؤمن . خدام مؤنسون، وموظفون أخلاّء، وكتبٌ حلوة لسيده الكريم ومالكه الرحيم.

الإيمان

الإيمان (..) يضم حقاً بذرة معنوية منشقة من طوبى الجنة

الكفر

الكفر (..) يخفي بذرة معنوية قد نفثته زقوم جهنم

السلامة والأمان

السلامة والأمان إذن لا وجود لهما إلاّ في الإسلام والإيمان.

من الكلمة الثالثة

بين العبادة والفسق

(إن)العبادة تجارة عظمى وسعادة كبرى، وإن الفسق والسفه خسارة جسيمة وهلاك. محقق.

من ثمرات الإيمان

المؤمن يعتقد بما يقول لذا يجد في كل شيء باباً ينفتح إلى خزائن الرحمة الإلهية، فيطرقه بالدعاء، ويرى أن كل شيء مسخّر لأمر ربه، فيلتجيء إليه بالتضرع. ويتحصّن أمام كل مصيبة مستنداً إلى التوكل، فيمنحه إيمانه هذا الأمان التام والاطمئنان الكامل.

منبع الشجاعة

إن منبع الشجاعة ككل الحسنات الحقيقية هو الإيمان والعبودية، وإن منبع الجبُن ككل السيئات هو الضلالة والسفاهة.

لو أصبحت الكرة الأرضية قنبلة مُدمِّرة وانفجرت، فلربما لا تخيف عابداً لله ذا قلب منوّر، بل قد ينظر إليها أنها خارقة من خوارق القدرة الصمدانية، ويتملاها بإعجاب ومتعة، بينما الفاسق ذو القلب الميت ولو كان فيلسوفاً . ممن يُعدّ ذا عقل راجح . إذا رأى في الفضاء نجماً مذنباً يعتوره الخوف ويرتعش هلعاً ويتساءل بقلق: ألا يمكن لهذا النجم أن يرتطم بأرضنا ؟ فيتردى في وادي الأوهام.

حاجات الإنسان وقدراته

رغم أن حاجات الإنسان تمتد إلى ما لا نهاية له من الأشياء، فرأس ماله في حُكم المعدوم. ورغم أنه معرّض إلى ما لانهاية له من المصائب فاقتداره كذلك في

حكم لا شيء، إذ إن مدى دائرتي رأس ماله واقتداره بقدر ما تصل إليه يده، بينما دوائر آماله ورغائبه وآلامه وبلاياه واسعة سعة مد البصر والخيال.

الحاجة إلى حقائق العبادة والتوكل

ما أحوج روح البشر العاجزة الضعيفة الفقيرة إلى حقائق العبادة والتوكل، وإلى التوحيد والاستسلام! وما أعظم ما ينال منها من ربح وسعادة ونعمة!.

السعادة في العبادة

إن سعادة الدنيا أيضاً كالآخرة هي في العبادة وفي الجندية الخالصة لله.

من الكلمة الرابعة

الصلاة عماد الدين

يا خسارة مَن يصرف ثلاثاً وعشرين من ساعاته على هذه الحياة الدنيا القصيرة ولا يصرف ساعةً واحدة على تلك الحياة الأبدية المديدة!.

ويا له من ظالم لنفسه مبين!

ويا له من أحمق أبله!

إن الصلاة بذاتها راحة كبرى للروح والقلب والعقل معاً.

فضلاً عن أنها ليست عملاً مرهقاً للجسم.

وفوق ذلك فإن سائر أعمال المصلي الدنيوية المباحة ستكون له بمثابة عبادة لله ، وذلك بالنية الصالحة..

فيستطيع إذن أن يحوّل المصلي جميع رأس مال عمره إلى الآخرة، فيكسب عمراً خالداً بعمره الفاني.

وظيفة تليق بالإنسان

إن إقامة الصلاة واجتناب الكبائر وظيفة حقيقية تليق بالإنسان ونتيجة فطرية ملائمة مع خلقته..

من الكلمة الخامسة

من آثار الربوبية

إن الذي وهب الحياة؛ وأنشأها صنعةً صمدانية معجزة تتلمع، وجعلها حكمةً ربانية خارقة تتألق : هو الذي يربيها ، وهو وحده الذي يرعاها ويديمها بالرزق .

الرزق بين الضعف والاقتدار

إن أضعف حيوان وأبلده ليُرزَق بأفضل رزق وأجوده (كالأسماك وديدان الفواكه).

وإن أعجز مخلوق وأرقه ليأكل أحسن رزق وأطيبه (كالأطفال والصغار). ولكي تفهم أن وسيلة الرزق الحلال ليست الاقتدار والاختيار، بل هي العجز والضعف، يكفيك أن تعقد مقارنه بين الأسماك البليدة والثعالب، وبين الصغار الذين لا قوة لهم والوحوش الكاسرة، وبين الأشجار المنتصبة والحيوانات اللاهثة.

مثل لتارك الصّلاة

الذي يترك صلاته لأجل هموم العيش مَثَلُهُ كمثل ذلك الجندي الذي يترك تدريبه وخندقه ويتسوّل متسكعاً في الأسواق. بينما الذي يقيم الصلاة دون أن ينسى نصيبه من الرزق، يبحث عنه في مطبخ رحمة الرزاق الكريم لئلا يكون عالةً على الآخرين فجميل عمله، بل هو رجولة وشهامة، وهو ضرب من العبادة أيضاً.

الإنسان مخلوق للعبادة

إن فطرة الإنسان وما أودع الله فيه من أجهزة معنوية تدلاّن على أنه مخلوق للعبادة؛ لأن ما أودع فيه من قدرات وما يؤديه من عمل لحياته الدنيا لا تبلّغه مرتبة أدنى عصفور الذي يتمتع بالحياة أكثر منه وأفضل. بينما يكون الإنسان سلطان الكائنات وسيد المخلوقات من حيث حياته المعنوية والأخروية بما أودع الله فيه من علم به وافتقار إليه وقيام بعبادته.

من الكلمة السادسة

التجارة مع الله

بيع النفس والمال إلى الله تعالى، والعبودية له، والجندية في سبيله أربح تجارة وأشرفها!

سؤال مقلق

أحوال هذه الدنيا، إذ لا قرار فيها ولا ثبات، كلها تقلبات تلحّ على فكر الإنسان بهذا السؤال:

"إن جميع ما نملك لا يستقر ولا يبقى في أيدينا، بل يفنى ويغيب عنّا، أليس هناك من علاج لهذا؟ ألا يمكن أن يحل البقاء بهذا الفناء؟!".

الجواب: بيعُ الامانة إلى مالكها الحقيقي .

أرباح البيع لله

الربح الأول: المال الفاني يجد البقاء، لأن العمر الزائل الذي يوهب للحي القيوم الباقي، ويبذل في سبيله سبحانه، ينقلب عمراً أبدياً باقياً. عندئذٍ تثمر دقائق العمر ثماراً يانعة وأزاهير سعادة وضاءة في عالم البقاء مثلما تفنى البذور ظاهراً وتنشق عنها الأزهار والسنابل.

الربح الثاني: الثمن هو الجنة.

الربح الثالث: يرتفع ثمن كل عضو وحاسة ويغلو من الواحدة إلى الألف.

الربح الرابع: إن الإنسان ضعيف بينما مصائبه كثيرة، وهو فقير ولكن حاجته في ازدياد، وعاجز إلاّ أن تكاليف عيشه مرهقة، فإن لم يتوكل هذا الإنسان على العلي القدير ولم يستند إليه، وإن لم يسلّم الأمر إليه ولم يطمئن به،

فسيظل يقاسي في وجدانه آلاماً دائمة، وتخنقه حسراته وكدحه العقيم، فإما يحوله إلى مجرم قذر أو سكير عابث.

الربح الخامس: أنه من المتفق عليه إجماعاً بين أهل الاختصاص والشهود والذوق والكشف أن العبادات والاذكار والتسبيحات التي تقوم بها الأعضاء عندما تعمل ضمن مرضاته سبحانه تتحول إلى ثمار طيبة لذيذة من ثمار الجنة، وتقدّم إليك في وقت أنت في أمس الحاجة إليها.

خسارات من لم يبع لله

الخسارة الأولى: إن ما تحبه من مال وأولاد، وما تعشقه من هوى النفس وما تعجب به من حياة وشباب، سيضيع كله ويزول، مخلفاً آثامه وآلامه مثقل بها ظهرك.

الخسارة الثانية: ستنال عقاب من يخون الأمانة. لأنك باستعمالك أثمن الآلات والأعضاء في أخس الأعمال قد ظلمت نفسك.

الخسارة الثالثة: لقد افتريت وجنيت على الحكمة الإلهية، إذ أسقطت جميع تلك الأجهزة الإنسانية الراقية إلى دركات الأنعام بل أضل.

الخسارة الرابعة: ستدعو بالويل والثبور دائماً، وستئن من صدمة الفراق والزوال ووطأة تكاليف الحياة التي أرهقت بها كاهلك الضعيف مع أن فقرك قائم وعجزك دائم.

الخسارة الخامسة: إن هدايا الرحمن الجميلة ـ كالعقل والقلب والعين وما شابهها ـ ما وُهبت لك إلاّ لتهيئك لفتح أبواب السعادة الأبدية، فما أعظمها خسارة أن تتحول تلك الهدايا إلى صورة مؤلمة تفتح لك أبواب جهنم!.

دائرة الحلال واسعة

إن دائرة الحلال واسعة فسيحة، تكفي للراحة والسعادة والسرور. فلا داعي للولوج في الحرام.

شرف العبودية

(إن) ما افترضهّ الله علينا (...)خفيف وضئيل، وإن العبودية لله بحد ذاتها شرف عظيم إذ هي جندية في سبيله سبحانه وفيها من اللذة وراحة الوجدان ما لا يوصف.

الواجب على الإنسان

الواجب أن (...) تبدأ باسم الله، وتعمل باسم الله، وتأخذ وتعطي في سبيله ولأجله، وتتحرك وتسكن ضمن دائرة مرضاته وأوامره، وإن كان هناك تقصير فدونك باب الاستغفار، فتضرع إليه وقل:

اللّهم اغفر لنا خطايانا، واقبلنا في عبادك، واجعلنا أمناء على ما أمّنته عندنا إلى يوم لقائك ... آمين.

من الكلمة السابعة

أثمن مفتاحين للغز الكون

الإيمان بالله وباليوم الآخر، أثمن مفتاحين يحلاّن لروح البشر طلسم الكون ولغزه، ويفتحان أمامها باب السعادة والهناء..

أنفع علاجين للإنسان

توكّل الإنسان على خالقه صابراً، والرجاء من رزّاقه شاكراً ، أنفع علاجين ناجعين..

أغلى زاد وأسطع نور

الإنصات إلى القرآن الكريم، والانقياد لحكمه، وأداء الصلوات وترك الكبائر، أغلى زاد للآخرة،وأسطع نور للقبر، وأيسر تذكرة مرور في رحلة الخلود.

الكاملون وحب الموت

كان الكاملون من الناس يحبّون الموت ويطلبونه، حيث رأوا حقيقته.

عجز الإنسان أساس قوته

إن من يعتمد بهوية «عجزه» على سلطان الكون الذي بيده أمر (كن فيكون) كيف يجزع ويضطرب؟ بل يثبت أمام أشد المصائب، واثقاً بالله ربه، مطمئن البال مرتاح القلب وهو يردد: (إنّا لله وإنّا إليه راجعون).

لذة العجز والخوف من الله

إن العارف بالله يتلذذ من عجزه وخوفه من الله سبحانه. وحقاً إن في الخوف لذة! فلو تمكنّا من الاستفسار من طفل له من العمر سنة واحدة، مفترضين فيه العقل والكلام: ما أطيب حالاتك وألذها؟ فربما يكون جوابه: هو عندما ألوذ بصدر أمي الحنون بخوفي ورجائي وعجزي.. علماً أن رحمة جميع الوالدات وحنانهن ما هي إلاّ لمعةُ تجلٍ من تجليات الرحمة الإلهية الواسعة.

العجز والخوف وسيلة وشفاعة

وجد الذين كَمُل إيمانُهم لذة تفوق أية لذة كانت في العجز ومخافة الله ، حتى إنهم تبرأوا إلى الله براءة خالصة من حولهم وقوتهم ولاذوا بعجزهم إليه تعالى واستعاذوا به وحده، مقدِّمين هذا العجز والخوف وسيلتين وشفيعين لهم عند البارئ الجليل.

ضيف الجواد الكريم

إن مَن كان ضيفاً عند (..) الجواد الكريم جل وعلا كيف يكون الفقر والحاجة لديه مؤلماً وثقيلاً؟.

بل يتخذ فقره وفاقته إليه سبحانه صورة مُشهٍّ لتناول النِعم. فيسعى إلى الاستزادة من تلك الفاقة كمن يستزيد من شهيته.

حقيقة الفقر

ما نقصد بالفقر؛ أنه استشعار الإنسان بالفقر إليه سبحانه والتضرع إليه وحده والسؤال منه، وليس المقصود إظهار الفقر إلى الناس والتذلل لهم والسؤال منهم بالتسول والاستجداء.

زاد طريق الأبد

إن جميع أهل الاختصاص والشهود وجميع أهل الذوق والكشف من العلماء المدققين والأولياء الصالحين متفقون على أن زاد طريق أبد الآباد، وذخيرة تلك الرحلة الطويلة المظلمة ونورها وبُراقها ليس إلاّ امتثال أوامر القرآن الكريم واجتناب نواهيه، وإلاّ فلا يغني العلم والفلسفة والمهارة والحكمة شيئاً في تلك الرحلة، بل تقف جميعها منطفئة الأضواء عند باب القبر.

فوائد وثمرات تهون المتاعب

ما أخف أداء الصلوات الخمس واجتناب الكبائر السبع وما أريحها وأيسرها أمام عِظَم فوائدها وثمراتها وضرورتها!

ردع دعاة الفسق

يا نفسي الكسول (...) قولي لمن يدعوكِ إلى الفسق واللهو والسفاهة، وإلى ذلك الشيطان الخبيث الماكر: لو كانت لديك وسيلة لقتل الموت، ولإزالة الزوال عن الدنيا، ولو كان عندك دواء لرفع العجز والفقر عن البشرية، ووساطة لغلق باب القبر إلى الأبد، فهاتها إذن وقُلها لأسمع وأطيع.. وإلاّ فاخرس، فإن القرآن الكريم يتلو آيات الكائنات في مسجد الكون الكبير هذا. فلننصت إليه، ولنتنّور بنوره، ولنعمل بهديه الحكيم، حتى يكون لساننا رطباً بذكره وتلاوته.

من الكلمة الثامنة

قيمة الدين في الحياة

لولا الدين الحق لتحولت الدنيا إلى سجن رهيب .

أشقى المخلوقات

الشخص الملحد هو أشقى المخلوقات .

ما يحل طلسم العالم

الذي يحل طلسم العالم ولغزه المحير وينقذ الروح البشرية من الظلمات إن هو إلا : يا الله... لا إله إلا الله.

خذ ما صفا دع ما كدر

فالعاقل هو مَن يعمل على قاعدة: ((خذ ما صفا.. دع ما كدر)) فيسير مع سلامة القلب واطمئنان الوجدان .

علامة مخصوصة لله تعالى

إن خلق شيء من كل شيء وخلق كل شيء من شيء، إنما هو خاصية تعود إلى خالق كل شيء.. وعلامة مخصوصة للقادر على كل شيء .

موت الضالين وموت المهتدين

الموت لأهل الضلال فراق أبدي أليم من جميع الأحبة، وخروج من جنة دنيوية كاذبة إلى وحشة سجن انفرادي للقبر، وضياع في تيه سحيق، بينما هو لأهل الهداية وأهل القرآن رحلة إلى العالم الآخر، ووسيلة إلى ملاقاة الأحبة والأصدقاء

القدامى، وواسطة إلى دخول الوطن الحقيقي ومنازل السعادة الأبدية، ودعوة كريمة من سجن الدنيا إلى بساتين الجنان، وانتظار لأخذ الأجرة للخدمات تفضلاً من الرحمن الرحيم، وتسريح من تكاليف الحياة وإجازة من وظيفتها، وإعلان الانتهاء من واجبات العبودية وامتحانات التعليم والتعليمات.

جهنم الدنيا

إن كل من يجعل الحياة الفانية مبتغاه فسيكون في جهنم حقيقةً ومعنىً، حتى لو كان يتقلب ظاهراً في بحبوحة النعيم.

الإيمان مصدر السعادة

إن كل من كان متوجهاً إلى الحياة الباقية ويسعى لها بجد وإخلاص فهو فائز بسعادة الدارين وأهل لهما معاً حتى لو كانت دنياه سيئة وضيقة، إلا أنه سيراها حلوة طيبة، وسيراها قاعة انتظار لجنته، فيتحملها ويشكر ربه فيها وهو يخوض غمار الصبر.

من الكلمة التاسعة

أوقات الصلاة بداية انقلاب ومرآة تصرف

كما أن وقت كل صلاة، بداية انقلابٍ زمني عظيم ومهم، فهو كذلك مرآة لتصرف إلهي عظيم، تعكس الآلاء الإلهية الكلية في ذلك الوقت. لهذا فقد أُمر في تلك الأوقات بالصلاة ، أي الزيادة من التسبيح والتعظيم للقدير ذي الجلال، والإكثار من الحمد والشكر لنعمه التي لا تحصى والتي تجمعت بين الوقتين .

معنى الصلاة

إن معنى الصلاة هو التسبيح والتعظيم والشكر لله تعالى: أي تقديسُه جل وعلا تجاه جلاله قولاً وفعلاً بقول: سبحان الله.. وتعظيمه تجاه كماله لفظاً وعملاً بقول: الله اكبر .. وشكره تجاه جماله قلباً ولساناً وجسماً بقول: الحمد لله.

نوى الصلاة

التسبيح والتكبير والتحميد هو بمثابة نوى الصلاة وبذورها، فوُجِدت هذه الثلاثة في جميع حركات الصلاة وأذكارها. ولهذا أيضاً تُكرّر هذه الكلمات الطيبة الثلاث ثلاثاً وثلاثين مرة عقب الصلاة، وذلك للتأكيد على معنى الصلاة وترسيخه، إذ بهذه الكلمات الموجزة المجملة يؤكد معنى الصلاة ومغزاها.

معنى العبادة

إن معنى العبادة هو سجودُ العبد بمحبة خالصة وبتقدير وإعجاب في الحضرة الإلهية وأمام كمال الربوبية والقدرة الصمدانية والرحمة الإلهية مشاهداً في نفسه تقصيرَه وعجزَه وفقرَه .

سبحان الله والعبودية

كما أن سلطنة الربوبية تتطلب العبودية والطاعة، فإن قدسيتَها ونزاهتها تتطلب أيضاً أن يُعلن العبدُ ـ مع استغفاره برؤية تقصيره ـ أن ربّه منزّهٌ عن أي نقص، وأنه مُتعالٍ على جميع أفكار أهل الضلالة الباطلة، وأنه مقدّس من جميع تقصيرات الكائنات ونقائصها. أي يعلن ذلك كله بتسبيحه، بقوله: سبحان الله.

الله أكبر وعظمة آثار القدرة

قدرة الربوبية الكاملة تطلب من العبد أيضاً أن يلتجىء إليها، ويتوكل عليها لرؤيته ضعفَ نفسه الشديد وعجزَ المخلوقات قائلاً: الله اكبر بإعجاب وتقدير واستحسان تجاه عظمة آثار القدرة الصمدانية، ماضياً إلى الركوع بكل خضوع وخشوع.

الحمد لله والآلاء العميمة

رحمة الربوبية الواسعة تتطلب أيضاً أن يُظهر العبدُ حاجاته الخاصة وحاجات جميع المخلوقات وفقرها بلسان السؤال والدعاء، وأن يعلن إحسان ربه وآلاءه العميمة بالشكر والثناء والحمد بقوله: الحمد لله.

الإنسان مثال مصغر ومثال منور

كما أن الإنسان هو مثالٌ مصغّر لهذا العالم الكبير، وأن سورة الفاتحة مثالٌ منوّر للقرآن العظيم، فالصلاة كذلك فهرس نوراني شامل لجميع العبادات، وخريطة سامية تشير إلى أنماط عبادات المخلوقات جميعاً.

عالم الدنيا ساعة إلهية كبرى

عالم الدنيا(...) هو ساعة إلهية كبرى، فإن دوران الليل والنهار الذي هو بحكم الثواني للساعة، والسنوات التي تعدّ الدقائق، وطبقات عمر الإنسان التي تعد الساعات، وأدوار عمر العالم التي تعد الأيام، كل منها يناظر الآخر، ويتشابه معه، ويماثله، ويذكّر كل منها الآخر، ويأخذ حكمه.

الفجر وبداية الربيع

وقت الفجر إلى طلوع الشمس: يشبه ويذكّر ببداية الربيع وأوله، وبأوان سقوط الإنسان في رحم الأم، وباليوم الأول من الأيام الستة في خلق السموات والأرض، فينبّه الإنسان الى ما في تلك الأوقات من الشؤون الإلهية العظيمة.

الظهر ومنتصف الصيف

وقت الظهر: (...) يشبه ويشير إلى منتصف الصيف، وإلى عنفوان الشباب، وإلى فترة خلق الإنسان في عمر الدنيا، ويذكّر ما في ذلك كله من تجليات الرحمة وفيوضات النعمة.

العصر وموسم الخريف

وقت العصر: (...) يشبه موسم الخريف، وزمن الشيخوخة، وعصر السعادة الذي هو عصر خاتم الرسل محمد عليه الصلاة والسلام، ويذكّر ما في ذلك كله من الشؤون الإلهية والآلاء الرحمانية.

المغرب غروب ووفاة

وقت المغرب: (...) يذكّر بغروب أغلب المخلوقات وأفولها نهاية الخريف ، ويذكّر أيضاً بوفاة الإنسان ، وبدمار الدنيا عند قيام الساعة، ومع ذلك فهو يعلّم التجليات الجلالية، ويوقظ الإنسان من نوم الغفلة وينبهه.

العشاء ووفاة الآثار

وقت العشاء: (...) يذكّر بغشيان عالم الظلام وستره آثار عالم النهار بكفنه الأسود، ويذكّر أيضاً بتغطية الكفن الأبيض للشتاء وجه الأرض الميتة، وبوفاة حتى آثار الإنسان المتوفى ودخولها تحت ستار النسيان، وبانسداد أبواب دار امتحان الدنيا نهائياً، ويعلن في ذلك كله تصرفات جلالية للقهار ذي الجلال.

الليل والشتاء والقبر والبرزخ

وقت الليل: (...) يذكّر بالشتاء، وبالقبر، وبعالم البرزخ، فضلاً عن أنه يذكّر روح الإنسان بمدى حاجتها إلى رحمة الرحمن.

التهجد وضياء ليل القبر

التهجد في الليل: (...) يذكّر بضرورته ضياء لليل القبر، ولظلمات عالم البرزخ، وينبّه ويذكّر بنعم غير متناهية للمنعم الحقيقي عبر هذه الانقلابات، ويعلن أيضاً عن مدى أهلية المنعم الحقيقي للحمد والثناء.

الصباح التالي وصباح الحشر

الصباح الثاني: (...) يذكّر بصباح الحشر. نعم، كما أن مجيء الصبح لهذا الليل، ومجيء الربيع لهذا الشتاء معقول وضروري وحتمي، فإن مجيء صباح الحشر وربيع البرزخ هما بالقطعية والثبوت نفسيهما.

من الكلمة العاشرة

سبب الضلال

إن عدم معرفة الله سبحانه وتعالى هو الذي أوقع متعلمي الفلسفة وملة الكفر والنفس الأمارة في الضلالة الرهيبة.

الكون دليل على خالقه

من أمحل المحال أن يكون هذا الكون من غير مبدع، حيث إن هذا الكون كتاب على نحو عظيم تتضمن كل صحيفة فيه كتباً كثيرة، لا بل كل كلمة منها كتاباً، وكل حرف منها قصيدةً.. فوجه الأرض صحيفة، وما أكثر ما فيها من كتب! والشجرة كلمة واحدة، وما أكثر ما فيها من صحائف! والثمرة حرف، والبذرة نقطة.. وفي هذه النقطة فهرس الشجرة الباسقة وخطة عملها. فكتاب كهذا ما يكون إلا من إبداع قلم صاحب قدرة متصف بالجمال والجلال والحكمة المطلقة. أي أن مجرد النظر إلى العالَم ومشاهدته يستلزم هذا الإيمان، إلاّ مَنْ أسكَرته الضلالة!.

هذا الكون

هذا الكون إنما هو كالقصر البديع؛ الشمسُ والقمر مصابيحه، والنجوم شموعه وقناديله، والزمن شريط يعلق عليه الخالق ذو الجلال ـ في كل سنة ـ عالماً آخر يبرُزه للوجود، مجدّداً فيه صوراً منتظمة في ثلاثمائة وستين شكلاً وطرازاً، مبدلاً إياه بانتظام تام، وحكمة كاملة، جاعلاً سطح الأرض مائدة نِعَمٍ،

يزيّنها في كل ربيع بثلاثمائة ألف نوع من أنواع مخلوقاته، ويملؤها بما لا يعد ولا يحصى من آلائه، مع تمييز كلٍ منها تمييزاً كاملاً، على الرغم من تداخلها وتشابكها..وقس على هذه الأشياء الأمور الأخرى.. فكيف يمكن التغافل عن صانع مثل هذا القصر المنيف؟

الكفر هذيان وجنون

إن عدم الإيمان بالخالق ذي الجلال، ورفض التصديق بأوصاف كماله سبحانه - مع رؤية هذه الكائنات المنتظمة المتبدلة والمتعاقبة بحكمة في كل آن والمتجددة بتناسق وانتظام في كل وقت - ضلالة أدهى ولاشك، بل هذيان وجنون.. لأنه يلزم إذ ذاك قبول ألوهية مطلقة في كل شيء حتى في كل ذرة

عمل يخص الخالق

إن خلق كل شيء من شيء واحد، وخلق شيء واحد من كل شيء، إنما هو عمل يخصّ خالق كل شيء. فتدبر وتأمل في قوله تعالى ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]

ثمرة الكفر

اعلم أن عدم الاعتقاد بالإله الواحد الأحد يستلزم الاعتقاد بآلهة عدة بعدد الموجودات!

إرسال الرسل أمر ضروري

كما لا يمكن للشمس إلاّ أن تشع ضياءً كذلك لا يمكن للألوهية إلاّ أن تظهر نفسها بإرسال الرسل الكرام عليهم السلام هل يمكن ألا يبيّن مالك هذا الكون بوساطة رسول: ما الغاية من تحولات هذا الكون ؟ وما القصد من هذا

الطلسم المغلق؟ وألا يجيب بوساطته عن ألغاز الأسئلة الثلاثة المستعصية في الموجودات، وهي: من أين؟ وإلى أين؟ ومن تكون؟ .

الإنسان سيد الموجودات

هذا الإنسان، هو سيد الموجودات رغم أنه صغير جداً، لما يملك من فطرة جامعة شاملة.. فهو قائد الموجودات، والداعي إلى سلطان ألوهية الله، والممثل للعبودية الكلية الشاملة ومظهرها، لذا فإن له أهمية عظمى.

الكفر جريمة

الكفر جريمة كبرى، وجناية لا حدود لها، حيث إنه يهبط بقيمة الكائنات ودرجتها ـ التي توازي قيمة مكاتيب صمدانية ودرجتها ـ إلى هاوية العبث، ويوهم عدم وجود الغاية من إيجادها.. إنه تحقير بيّن للكائنات كلها وإنكارٌ لما يشاهد من أنوار الأسماء الحسنى كلها، وإنكار آثارها في هذه الموجودات، ومن ثم فإنه تكذيب ما لا يحصى من الأدلة الدالة على حقيقة وجود ذات الحق سبحانه وتعالى، وكل هذا جناية لا حدود لها، والجناية التي لا حدود لها توجب عذاباً غير محدد بحدود.

لا بد من الثواب والعقاب

أمن الممكن لمَن له شأن الربوبية وسلطنة الألوهية، فأوجد كوناً بديعاً كهذا الكون؛ لغايات سامية ولمقاصد جليلة، إظهاراً لكماله،ثم لا يكون لديه ثواب للمؤمنين الذين قابلوا تلك الغايات والمقاصد بالإيمان والعبودية، ولا يعاقِب أهل الضلالة الذين قابلوا تلك المقاصد بالرفض والاستخفاف..؟!

لن يترك الإنسان سدى

نعم، إن هذا الإنسان الذي أنيط به ـ من بين جميع المخلوقات ـ مهام عظيمة، وزود باستعدادات فطرية كاملة، إن لم يعرف ربه (بالإيمان) بعد أن عرّف سبحانه نفسَه إليه بمخلوقاته البديعة المنتظمة.. وإن لم ينل محبته بالتقرب إليه بـ(العبادة) بعد أن تحبب إليه سبحانه بنفسه وعرّفها إليه بما خلق له من الثمار المتنوعة الجميلة الدالة على رحمته الواسعة.. وإن لم يقم بالتوقير والإجلال اللائقين به (بالشكر والحمد) بعد أن أظهر سبحانه محبته له ورحمته عليه بنعمه الكثيرة... نعم،إن لم يعرف هذا الإنسان ربه هكذا، فكيف يُترك سدى دون جزاء، ودون أن يعدّ له ذو العزة والجلال داراً للعقاب؟

الرعاية الدقيقة دليل على الله

انظر إلى رعايته سبحانه للمصالح والفوائد في كل شيء!.. ألا ترى أن أعضاء الإنسان جميعاً سواء العظام منها أو العروق وحتى خلاياه الجسمية وكل جزء منه ومكان، قد روعيت فيه فوائد وحكم شتى، بل إن في أعضاء جسمه من الفوائد والأسرار بقدر ما تنتجه الشجرة الواحدة من الثمار، مما يدل على أن يد حكمة مطلقة تدير الأمور. فضلاً عن التناسق البديع في صنعة كل شيء والانتظام الكامل فيها اللذان يدلان على أن الأمور تؤدى بحكمة مطلقة.

الزهرة والنواة دليل على الله

إن تضمين الخطة الدقيقة لزهرة جميلة في بُذيرتها الصغيرة، وكتابة صحيفة أعمال شجرة ضخمة وتاريخ حياتها وفهرس أجهزتها، في نويّتها بقلم القَدَر المعنوي.. يرينا بوضوح أن قلم حكمةٍ مطلقة هو الذي يتصرف في الأمر..

من دلائل الحكمة

وجود روعة الصنعة الجميلة وغاية حُسنها في خلقة كل شيء يُظهر أن صانعاً حكيماً مطلقاً هو صاحب هذا الإبداع. وهذه النقوش.. في هذا الجسم الصغير للإنسان، لما يدل على الحكمة البليغة في الصنعة البديعة..

عدالة وميزان

إن منح كل شيء وجوداً بموازين حساسة، وبمقاييس خاصة، وإلباسَه صورة معينة، ووضعَه في موضع ملائم.. يبيّن بوضوح أن الأمور تسير وفق عدالة وميزان مطلقين.

دليل على الحكمة والعدالة

الاستجابة المستمرة والدائمة لما يُسأل بلسان الاستعداد أو الحاجة الفطرية، أو بلسان الاضطرار، تُظهر أن عدالةً مطلقة، وحكمة مطلقة هما اللتان تُجريان عجلة الوجود.

أدلة على دار الخلود

إن تزيين وجه العالم (بالمصنوعات)الجميلة اللطيفة، وجعل الشمس سراجاً، والقمر نوراً، وسطح الأرض مائدة للنعم، وملأها بألذ الأطعمة الشهية المتنوعة، وجعل الأشجار أواني وصحافاً تتجدد مراراً كل موسم.. كل ذلك يظهر سخاءً وجوداً لا حد لهما. فلابد أن يكون لمثل هذا الجود والسخاء المطلقين، ولمثل هذه الخزائن التي لا تنفد، ولمثل هذه الرحمة التي وسعت كل شيء ، دارَ ضيافة دائمة، ومحل سعادة خالدة يحوي ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وتستدعي قطعاً أن يخلد المتلذذون في تلك الدار ، ويظلوا ملازمين لتلك السعادة ليبتعدوا عن الزوال والفراق، إذ كما أن زوال اللذة ألم فزوال الألم لذة كذلك، فمثل هذا السخاء يأبى الإيذاء قطعاً.

إعلانات وداعون أدلاء

انظر إلى معارض أقطار العالم التي هي مشهد من مشاهد الصنعة الإلهية، وتدبّر في ما تحمله النباتات والحيوانات على وجه الأرض من إعلانات ربانية وأنصت إلى الداعين الأدلاء إلى محاسن الربوبية وهم الأنبياء عليهم السلام والأولياء الصالحون، كيف أنهم يرشدون جميعاً الناس لمشاهدة كمال صنعة الصانع ذي الجلال بتشهيرهم صنعته البديعة ويلفتون أنظارهم إليها.

الكمال الدائم ودوام المعجبين

لصانع هذا العالم كمال فائق عظيم مثير للإعجاب، خفي مستتر، فهو يريد إظهاره بهذه المصنوعات البديعة، لأن الكمال الخفي الذي لا نقص فيه ينبغي الإعلان عنه على رؤوس أشهادٍ مقدّرين مستحسنين معجبين به. وأن الكمال الدائم يقتضي ظهوراً دائماً، وهذا بدوره يستدعى دوام المستحسنين المعجبين، إذ المعجب الذي لا يدوم بقاؤه تسقط في نظره قيمة الكمال.

كنوز خفية في الأسماء الحسنى

إن هذه الموجودات العجيبة البديعة الدقيقة الرائعة المنتشرة في هذا الكون تدل بوضوح ـ كدلالة ضوء النهار على وجود الشمس ـ على محاسن الجمال المعنوي الذي لا مثيل له، وتريك كذلك لطائف الحسن الخفي الذي لا نظير له. وإن تجلي ذلك الحُسن الباهر المنزّه، وذلك الجمال الزاهر المقدس يشير إلى كنوز كثيرة خفية موجودة في الأسماء الحسنى، بل في كل اسم منها.

الأسماء الحسنى تدل على الآخرة

مثلما أن هذا العالم يدل بموجوداته دلالة قاطعة يقيناً على صانعه الكريم ذي الجلال، فصفاته المقدسة سبحانه وأسماؤه الحسنى تدل كذلك على الدار الآخرة بلا ريب وتظهرها، بل تقتضيها.

دليل على وجود الجنة

إن الذي جعل سطح الأرض في الربيع مثالاً للحشر، فأوجد فيه مائة نموذج من نماذجه بقدرته المطلقة، كيف يصعب عليه إيجاد الجنة؟.

دليل على الربوبية الجليلة

إن ما نشاهده في هذا الكون من الإجراءات الجليلة الضخمة أمثال تبدل المواسم.. ومن التصرفات العظيمة أمثال تسيير النجوم.. ومن التسخيرات المدهشة أمثال جعل الأرض مهاداً والشمس سراجاً.. ومن التحولات الواسعة أمثال إِحياء الأرض وتزيينها بعد جفافها وموتها.. ليبيّن لنا بجلاء أن وراء الحجاب ربوبية جليلة عظيمة تحكم وتُهيمن بسلطانها الجليل

الدنيا فندق ودار ضيافة

إن هذه الدنيا ـ الشبيهة (بالفندق) ـ ليست لذاتها. فمحال أن تتخذ لنفسها بنفسها هذه الصورة والهيئة. وإنما هي دار ضيافة تملأ وتفرغ، ومنزل حلّ وترحال، أنشئت بحكمة لقافلة الموجودات والمخلوقات.

زينة الدنيا مشهية للآخرة

إن التزيينات في هذه الدنيا ليست لأجل التلذذ والتمتع فحسب، إذ لو أذاقتك اللذة ساعة، أذاقتك الألم بفراقها ساعات وساعات، فهي تذيقك مثيرة شهيتك دون أن تشبعك، لقصر عمرها أو لقصر عمرك، إذ لا يكفي للشبع إذن فهذه الزينة الغالية الثمن والقصيرة العمر هي للعبرة، وللشكر، وللحض على الوصول إلى تناول أصولها الدائمة، ولغايات أخرى .

زينة الدنيا صور ونماذج

إن هذه الزينة في الدنيا بمثابة صور ونماذج للنعم المدّخرة لدى الرحمة الإلهية في الجنة للمؤمنين.

خلود المصنوعات الفانية

إن هذه المصنوعات الفانية ليست للفناء، ولم تخلق لتشاهَد حيناً ثم تذهب هباءً، وإنما اجتمعت هنا، وأخذت مكانها المطلوب لفترة قصيرة كي تُلتقط صورها، وتُفهم معانيها، وتُدوّن نتائجها، ولتُنسج لأهل الخلود مناظر أبدية دائمة ولتكون مداراً لغايات أخرى في عالم البقاء.

الإنسان مراقب محاسب

إن الإنسان لم يترك حبله على غاربه، ولم يترك طليقاً ليرتع أينما يريد، بل تُسجّل جميع أعماله وتُلتقط صورها، وتدوّن جميع أفعاله ليحاسب عليها .

تأمل في الخريف

إن الموت والاندثار الذي يصيب في الخريف مخلوقات الربيع والصيف الجميلة، ليس فناءً نهائياً، وإعداماً أبدياً، وإنما هو إعفاء من وظائفها بعد إكمالها وإيفائها، وتسريح منها، وهو إفساح مجالٍ وتخليةُ مكانٍ لما سيأتي في الربيع الجديد من مخلوقات جديدة. فهو تهيؤ وتهيئة لما سيحل من الموجودات المأمورة الجديدة. وهو تنبيه رباني لذوي المشاعر الذين أنسَتهم الغفلة مهامهم، ومنعهم السُكر عن الشكر.

تجليات اسم الحفيظ

إن الذي يدير أمر هذا الكون هو الذي يحافظ على كل شيء فيه ضمن نظام وميزان. والنظام والميزان هما مظهران من مظاهر العلم والحكمة مع الإرادة والقدرة، لأننا نُشاهد أن أيّ مصنوع كان لم يُخلق ولا يُخلق إلاّ في غاية الانتظام والميزان، وإن الصور التي يغيّرها طوال حياته في انتظام دقيق كما أن مجموعها أيضاً ضمن نظام متقن محكم. ونرى أيضاً أن الحفيظ ذا الجلال يحفظ صور كل شيء حالما يختم عمره مع انتهاء وظيفته ويرحل من عالم الشهادة، يحفظها سبحانه في الأذهان التي هي أشبه ما تكون بالألواح المحفوظة وفي ما تشبه بمرايا مثالية، فيكتب معظم تاريخ حياته في بذوره وينقشه نقشاً في ثماره، فيديم حياته ويحفظها في مرايا ظاهرة وباطنة..

فذاكرة البشر، وثمر الشجر، ونواة الثمر، وبذر الزهر..

كل ذلك يبين عظمة إحاطة الحفيظية .

أمثلة للحشر

إن الرب المتصرف في هذا العالم جلّ جلاله يُحدث في هذه الأرض المؤقتة الضيقة في كل عصر وفي كل سنة وفي كل يوم نماذج وأمثلة كثيرة وإشارات عديدة للحشر الأكبر (...)

إنه يحشر في بضعة أيام في حشر الربيع ويبعث أكثر من ثلاثمائة ألف نوع من أنواع النباتات والحيوانات من صغير وكبير، فيحيي جذور الأشجار والأعشاب، ويعيد بعض الحيوانات بعينها كما يعيد أمثال بعضها الآخر. ومع أن الفروق المادية بين البُذيرات المتناهية في الصغر جزئية جداً، إلا أنها تُبعث وتُحيا بكل تميّز، وتشخّص في منتهى السرعة في ستة أيام، أو ستة أسابيع، وفي منتهى السهولة والوفرة، وبانتظام كامل وميزان دقيق، رغم اختلاطها وامتزاجها. فهل يصعب على من يقوم بمثل هذه

الأعمال شيء، أو يعجز عن خلق السموات والأرض في ستة أيام، أولا يستطيع أن يحشر الإنسان بصيحة واحدة؟.. سبحان الله عما يصفون.

منتظرون للإنسان

كما أن الأجل والقبر ينتظران الإنسان، فإن الجنة والنار كذلك تنتظرانه وتترصدانه.

تطلع للسعادة الأبدية

إن ما في هوية قلب الإنسان من لطائف، وما في دفتر عقله من حواس، وما في فطرته من أجهزة وعتاد متوجهة جميعاً ومعاً إلى السعادة الأبدية،بل ما مُنحت له إلاّ لأجل تلك السعادة الأبدية.

لا بد من الآخرة

إن الذي يحيي هذه الأرض الهائلة وهي معرض العجائب ويميتها كأدنى حيوان، والذي جعلها مهداً مريحاً وسفينة جميلة للإنسان والحيوان، وجعل الشمس ضياءً وموقداً لهذا المضيف، وجعل الكواكب السيّارة والنجوم اللامعة مساكن طائرات للملائكة.. إن ربوبية خالدة جليلة إلى هذا الحدّ، وحاكمية محيطة عظيمة إلى هذه الدرجة، لا تستقران ولا تنحصران في أمور الدنيا الفانية الزائلة الواهية السيالة التافهة المتغيرة. فلابد أن هناك داراً أخرى باقية، دائمة، جليلة، عظيمة، مستقرة، تليق به سبحانه فهو يسوقنا إلى السعي الدائب لأجل تلك الممالك والديار ويدعونا إليه وينقلنا إلى هناك.

مزرعة وبيدر ومخزنان

الدنيا (...) مزرعة (...)، والمحشر بيدر، والجنة والنار مخزنان.

دليل على قدرة الله

نعم! إن كل من يمتطي التاريخ ويذهب خيالاً إلى جهة الماضي سيرى أنه قد ماتت بعدد السنين منازلُ ومعارضُ وميادين وعوالمُ شبيهة بمنزل الدنيا وميدان الابتلاء ومعرض الأشياء في وقتنا الحاضر. فعلى الرغم مما يُرى من اختلاف بعضها عن البعض الآخر صورةً ونوعاً، فإنها تتشابه في الانتظام والإبداع وإبراز قدرة الصانع وحكمته.

معجزات

نعم! لو نظرت إلى وجوه الموجودات المتوجهة إلى الأسماء الحسنى وإلى عالم الآخرة لرأيت:

أن لكل بذرة ـ وهي معجزة القدرة الإلهية ـ غايات كبيرة كبر الشجرة.

وأن لكل زهرة ـ وهي كلمة الحكمة ـ معاني جمّة بمقدار أزهار الشجر.

وأن لكل ثمرة ـ وهي معجزة الصنعة وقصيدة الرحمة ـ من الحِكَم ما في الشجرة نفسها.

أما من جهة كونها أرزاقاً لنا فهي حكمة واحدة من بين ألوف الحكم، حيث إنها تنهي مهامها، وتوفي مغزاها فتموت وتدفن في معداتنا.

من غايات الدنيا

إن إحدى غايات قضاء الحياة ـ الشخصية والاجتماعية ـ في فترة قصيرة في هذه الدنيا هي أخذ الصور وتركيبها، وحفظ نتائج الأعمال، ليحاسب أمام

الجمع الأكبر، وليعرض أمام العرض الأعظم، وليهيأ استعداده ومواهبه للسعادة العظمى .

الآخرة حق

ما دام الله جل جلاله موجوداً فإن الآخرة لا ريب فيها مطلقاً .

أهل الجنة

ما دامت في الدنيا حياة، فلابد أن الذين يفهمون سر الحياة من البشر، ولا يسيئون استعمال حياتهم، يكونون أهلاً لحياة باقية، في دار باقية وفي جنة باقية... آمنّا.

حياة وشعور وروح

إن حياة محمد ـ المادية والمعنوية ـ بشهادة آثارها حياة لحياة الكون ، والرسالة المحمدية شعور لشعور الكون ونور له. والوحي القرآني بشهادة حقائقه الحيوية روح لحياة الكون وعقل لشعوره.. أجل ... أجل... أجل .

حب الخلود

إن أعظم فانٍ ـ وهو الدنيا وما فيها ـ لا يمكنه أن يُشبع أصغر آلة في الإنسان وهي الخيال!

إن هذا الإنسان الذي له هذا الاستعداد الفطري والذي له آمالٌ تمتد إلى الأبد، وأفكارٌ تحيط بالكون، ورغباتٌ تنتشر في ثنايا أنواع السعادة الأبدية. هذا الإنسان إنما خلق للأبد وسيرحل إليه حتماً ، فليست هذه الدنيا إلاّ مستضافاً مؤقتاً، وصالة انتظار الآخرة.

تساوي الأشياء أمام القدير

ما دام أكبر شيء يتساوى مع أصغره، وما لا يعدّ من الأشياء يظهر كالشيء الواحد في هذه المخلوقات والممكنات الاعتيادية ـ وهي ناقصة فانية ـ لما فيها من (النورانية والشفافية والانتظام والامتثال والموازنة) فلابدّ أنه يتساوى أمام القدير المطلق القليل والكثير، والصغير والكبير، وحشرُ فرد واحد وجميع الناس بصيحة واحدة، وذلك بالتجليات ((النورانية)) المطلقة لقدرته الذاتية المطلقة وهي في منتهى الكمال، و ((الشفافية)) و ((النورانية)) في ملكوتية الأشياء، و ((انتظام)) الحكمة والقدرة، و ((امتثال)) الأشياء وطاعتها لأوامره التكوينية امتثالاً كاملاً، وبسر ((موازنة)) الإمكان الذي هو تساوي الممكنات في الوجود والعدم.

قدرة الله

إن خلق الربيع بالنسبة لذي الجلال هيّن كخلق زهرة واحدة، وبعث الناس جميعاً سهل ويسير عليه كبعث فرد منهم .

عقيدة الآخرة

إن عقيدة الآخرة هي أس الأساس لحياة الإنسان الاجتماعية والفردية، وأساس جميع كمالاته ومُثله وسعادته .

أساس السعادة العائلية

إن الحياة العائلية هي مركز تجمّع الحياة الدنيوية ولولبها وهي جنة سعادتها وقلعتها الحصينة وملجأها الأمين. وإن بيت كل فرد هو عالَمه ودنياه الخاصة. فلا سعادة لروح الحياة العائلية إلاّ بالاحترام المتبادل الجاد والوفاء

الخالص بين الجميع، والرأفة الصادقة والرحمة التي تصل إلى حد التضحية والإيثار. ولا يحصل هذا الاحترام الخالص والرحمة المتبادلة الوفية إلاّ بالايمان بوجود علاقات صداقة أبدية، ورفقة دائمة، ومعيّة سرمدية، في زمن لا نهاية له، وتحت ظل حياة لا حدود لها، تربطها علاقات أبوّةٍ محترمة مرموقة، وأخوةٍ خالصة نقية، وصداقةٍ وفيّة نزيهة، حيث يحدّث الزوجُ نفسه: ((إن زوجتي هذه رفيقة حياتي وصاحبتي في عالم الأبد والحياة الخالدة، فلا ضير إن أصبحت الآن دميمة أو عجوزاً، إذ إن لها جمالاً أبدياً سيأتي، لذا فأنا مستعد لتقديم أقصى ما يستوجبه الوفاء والرأفة، وأضحي بكل ما تتطلبه تلك الصداقة الدائمة)).

روح الكون وعقله

إذا ما فارق نور الرسالة المحمدية الكون وغادره، مات الكون وتوفيت الكائنات، وإذا ما غاب القرآن وفارق الكون، جنّ جنونه وفقدت الكرة الأرضية صوابها، وزلزل عقلها، وظلت بلا شعور، واصطدمت بإحدى سيارات الفضاء، وقامت القيامة.

شجرة الكائنات

كما أن البذور والأصول التي خلفها الخريف الماضي، وسيخلفها هذا الربيع تحمل نور الحياة وتسير وفق قوانين حياتية، مثل ما يحمله هذا الربيع من حياة،

كذلك شجرة الكائنات، وكلُّ غصنٍ منه وكلُّ فرعٍ، له ماضيه ومستقبله، وله سلسلة مؤلفة من الأطوار والأوضاع، القابلة والماضية، ولكلّ نوعٍ ولكلّ جزء منه وجودٌ متعدد بأطوار مختلفة في العلم الإلهي، مشكلاً بذلك سلسلةَ وجودٍ علمي. والوجود العلمي هذا، الشبيه بالوجود الخارجي هو مظهرٌ لتجلٍ معنوي للحياة العامة، حيث تؤخذ المقدرات الحياتية من تلك الألواح القدرية الحية ذات المغزى العظيم .

العقول الضيقة والحشر

إن ما ورد في القرآن الكريم مراراً ﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [يس: ٢٩]، ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾ [النحل: ٧٧] يبين لنا أن الحشر الأعظم سيظهر فجأة إلى الوجود، في آن واحد بلا زمان. ولكن العقول الضيقة تطلب أمثلة واقعية مشهودة كي تقبل وتذعن لهذا الحدث الخارق جداً والمسألة التي لا مثيل لها.

مثل يقرب البعث

مثلما يمكن إنارة مئات الآلاف من المصابيح الكهربائية ليلة مهرجان مدينة عظيمة، من مركز واحد في لحظة واحدة، كأنها بلا زمان. كذلك يمكن إنارة مئات الملايين من مصابيح الأحياء وبعثها على سطح الأرض من مركز واحد. فما دامت الكهرباء وهي مخلوقة من مخلوقات الله سبحانه وتعالى وخادمة إضاءة في دار ضيافته، لها هذه الخصائص والقدرة على القيام بأعمالها حسب ما تتلقاه من تعليمات وتبليغات ونظام من خالقها، فلابد أن الحشر الأعظم سيحدث كلمح البصر ضمن القوانين المنظمة الإلهية التي يمثلها آلاف الخدم المنوّرين كالكهرباء.

فرق بين الدنيا والآخرة

لما كانت الدنيا هي دار ((الحكمة)) والدار الآخرة هي دار ((القدرة)) فإن إيجاد الأشياء في الدنيا صار بشيء من التدريج ومع الزمن. بمقتضى الحكمة الربانية وبموجب أغلب الأسماء الحسنى أمثال ((الحكيم، المرتّب، المدبر، المربي)). أما في الآخرة فإن ((القدرة)) و ((الرحمة)) تتظاهران أكثر من ((الحكمة)) فلا حاجة إلى المادة والمدة والزمن ولا إلى الانتظار. فالأشياء تنشأ هناك نشأة آنية.

لا يسأل القدير كيف ؟

إن الذي أوجد أجساد الحيوانات كافة، وذوي الحياة كافة من العدم، تلك الأجساد التي هي كالفرق العسكرية للكائنات الشبيهة بالجيش الضخم ، ونظّم ذراتها ولطائفها ووضعها في موضعها اللائق، بنظام كامل وميزان حكيم بأمر ((كن فيكون))، وهو الذي يخلق في كل قرن بل في كل ربيع، مئآت الآلاف من أنواع ذوي الحياة وطوائفها الشبيهة بالجيش.. فهل يمكن أن يُسأل هذا القدير وهذا العليم كيف سيجمع بصيحة واحدة من بوق إسرافيل جميع الذرات الأساس والأجزاء الأصلية من الجنود المتعارفين تحت لواء فرقة الجسد ونظامها؟! وهل يمكن أن يُستبعد هذا منه؟ أوَ ليس استبعاده بلاهة وجنوناً؟

أمر غير ممكن !!

هل يمكن أن يعجز مَن خلق السماوات والأرض عن إحياء الإنسان وإماتته وهو ثمرة السماوات والأرض، وهل يمكن لمن يدير أمر الشجرة ويرعاها أن يهمل ثمرتها ويتركها .

الشمس بداية ونهاية

إن الله سبحانه وتعالى قد رفع ستائر العدم والأثير والسماء، عن جوهرة الشمس التي تضيء الدنيا كالمصباح، فأخرجها من خزينة رحمته وأظهرها إلى الدنيا. وسيلفّ تلك الجوهرة بأغلفتها عندما تنتهي هذه الدنيا وتنسد أبوابها.

نماذج للحشر والنشور

القدرة الإلهية وحكمتها المطلقة، التي لا إسراف فيها ولا عبث، والتي تحيي جنائز الأشجار الميّتة وهياكلها المنتصبة، تحييها وهي لا تعد ولا تحصى على سطح الأرض في كل ربيع، وفي كل سنة، بأمر ((كن فيكون)) وتجعلها علامة على ((البعث بعد الموت)) فتحشر ثلاثمائة ألف نوع من طوائف النباتات وأمم الحيوانات وتنشرها، مظهرةً بذلك مئات الألوف من نماذج الحشر والنشور ودلائل وجود الآخرة .

القرآن تفسير للكون

إن القرآن الكريم ((المقروء)) هو أعظم تفسير وأسماه، وأبلغ ترجمان وأعلاه لهذا الكون البديع، الذي هو قرآن آخر عظيم ((منظور)).

من الكلمة الحادية عشرة

مهمة الحياة

يا نفسي الحائرة ويا صديقي المغرم بالهوى!

أتحسبون أن " مهمة حياتكم " محصورة في تلبية متطلبات النفس الأمارة بالسوء ورعايتها بوسائل الحضارة إشباعاً لشهوة البطن والفرج؟ أم تظنون أن الغاية من درج ما أُودع فيكم من لطائف معنوية رقيقة، وآلات وأعضاء حساسة، وجوارح وأجهزة بديعة، ومشاعر وحواس متجسسة، إنما هي لمجرد استعمالها لإشباع حاجات سفلية لرغبات النفس الدنيئة في هذه الحياة الفانية؟ حاشَ وكلا!!

تحذير

يا صديقي الحميم، ويا نفسي الأمارة بالسوء!

استجمعوا عقولكم، ولا تهدروا رأس مال عمركم، ولا تبددوا طاقات حياتكم واستعداداتها لهذه الدنيا الفانية الزائلة، وفي سبيل لذة مادية ومتاع حيواني.. فالعاقبة وخيمة، إذ تُردّون إلى دَركةٍ أدنى من أخس حيوان، علماً أن رأس مالكم أثمن من أرقى حيوان!.

من الكلمة الثانية عشرة

الفلسفة الملحدة

إن الفلسفة الملحدة إنما هي سفسطة لا حقيقة لها وتحقير للكون وإهانة له.

حكمة الفلسفة : أسسا وثمرات

إن حكمة الفلسفة ترى ((القوة)) نقطة الاستناد في الحياة الاجتماعية.

وتهدف إلى ((المنفعة)) في كل شيء.

وتتخذ ((الصراع)) دستوراً للحياة.

وتلتزم ((بالعنصرية والقومية السلبية)) رابطة للجماعات.

أما ثمراتها فهي إشباع رغبات الأهواء والميول النفسية التي من شأنها تأجيج جموح النفس وإثارة الهوى.

ومن المعلوم أن شأن ((القوة)) هو ((الاعتداء)).. وشأن ((المنفعة)) هو ((التزاحم)) إذ لا تفي لتغطية حاجات الجميع وتلبية رغباتهم.. وشأن ((الصراع)) هو ((النزاع والجدال)).. وشأن ((العنصرية)) هو ((الاعتداء)) إذ تكبر بابتلاع غيرها وتتوسع على حساب العناصر الأخرى.

ومن هنا تلمس لِمَ سُلبت سعادةُ البشرية، من جراء اللهاث وراء هذه الحكمة.

حكمة القرآن الكريم: أسسا وثمرات

حكمة القرآن الكريم (...) تقبل ((الحق)) نقطة استناد في الحياة الاجتماعية، بدلاً من ((القوة)).. وتجعل ((رضى الله سبحانه)) ونيل الفضائل هو الغاية، بدلاً من ((المنفعة)).. وتتخذ دستور ((التعاون)) أساساً في الحياة، بدلاً من دستور ((الصراع)) .. وتلتزم برابطة ((الدين)) والصنف والوطن لربط فئات الجماعات بدلاً من العنصرية والقومية السلبية.. وتجعل غاياتها الحد من تجاوز النفس الأمارة ودفع الروح إلى معالي الأمور، وإشباع مشاعرها السامية لسوق الإنسان نحو الكمال والمثل الإنسانية.

من الكلمة الثالثة عشرة

السماء في نظر المؤمن

إن وجه السماء المظلمة التي تستعر فيها نجومٌ جامدة، تتحول في نظر السامعين،بصدى قوله تعالى ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [الإسراء: ٤٤]، إلى فمٍ ذاكرٍ لله، كل نجم يرسل شعاع الحقيقة ويبث حكمة حكيمة بليغة.

دليل إعجاز

إن البيانات القرآنية لا يمكن أن تستند إلى علم جزئي لبشر، ولا سيما إنسان أميّ، بل لابد أن تستند إلى علم واسع محيط بكل شيء والبصير بجميع الأشياء معاً..

الإيمان نجاة وسعادة

إن النجاة من الإعدام الأبدي، والخلاص من السجن الانفرادي، وتحويل الموت إلى سعادة أبدية، إنما تكون بالإيمان بالله وطاعته ليس إلا.

الموت في نظر المؤمنين

ما دام أهل الإيمان والطاعة يرون القبر الماثل أمامَهم باباً إلى رياض سعادة دائمة ونعيم مقيم، بما مُنحوا من القدر الإلهي من وثيقة تُكسبهم كنوزاً لا تفنى بشهادة الإيمان، فإن كلاً منهم سيشعر لذة عميقة حقيقية راسخة، ونشوة روحية لدى انتظاره كل لحظة مَن يناديه قائلاً: تعال خذ بطاقتك!

اللذة الحرام

إن كل لذة ومتعة خارج نطاق الشرع فيها ألف ألمٍ وألم،

السرور الخالص

من كان يريد السرور الخالص الدائم والفرح المقيم في الدنيا والآخرة، عليه أن يقتدي بما في نطاق الإيمان من تربية محمد صلى الله عليه وسلم .

الحياة من غير إيمان

الحياة، إن كانت خالية من الإيمان، أو فَقَد الإيمانُ تأثيره فيها لكثرة المعاصي، فإنها مع متاعها ولذتها الظاهرية القصيرة جداً تذيق الآلام والأحزان والهموم أضعافَ أضعافِ تلك المتع والملذات .

الضلالة وفساد المتع

الإنسان الذي تردّى في الضلالة ، وأطبقت عليه الغفلة، تفسد متعتُه الحاضرة بما يردُه من أحزان من الماضي، وما يرده من اضطرابٍ من القلق على المستقبل. فتتكدر حياتُه الحاضرة بالآلام والأوهام، سيما الملذات غير المشروعة، فهي في حكم العسل المسموم تماماً.

حوالك الظلمات

إن الإنسان هو أدنى بمائة مرة من الحيوان من حيث التمتع بملذات الحياة. بل إن حياة أرباب الضلالة والغفلة، بل وجودهم وعالَمهم، ما هو إلاّ يومهم الحاضر، حيث إن الأزمنة الماضية كلها وما فيها من الكائنات معدومة، ميتة، بسبب ضلالتهم، فترِدهم من هناك حوالك الظلمات..!

من آثار الإيمان

إذا ما أصبح الإيمانُ حياةً للحياة، وشعّ فيها من نوره، استنارت الأزمنة الماضية واستضاءت الأزمنة المقبلة، وتجدان البقاء وتمدان روح المؤمن وقلبه من زاوية الإيمان، بأذواق معنوية سامية وأنوار وجودية باقية، بمثل ما يمدّهما الزمن الحاضر .

العسل المسموم

إن متع الشباب وملذاته المحظورة شرعاً كالعسل المسموم .

عاقبة الطيش

إن الشباب سيذهب حتماً وسيزول لا محالة. فإن كان قد قضي في سبيل الملذات ونشوة الطيش والغرور، فسيورث آلاف البلايا والآلام والمصائب الموجعة سواءً في الدنيا أو الآخرة.

طبيعة الشباب

إن عروق الشباب تنبض لهوى المشاعر، وتستجيب لها أكثر مما تستجيب للعقل وترضخ له ، وسَورات الهوى ـ كما هو معلوم ـ لا تبصر العقبى، فتفضل درهماً من لذة حاضرة عاجلة على طنٍ من لذة آجلة،

اللذة الصافية

إن الذوق الحقيقي، واللذة التي لا يشوبها ألم، والفرح الذي لا يكدّره حزن، والسعادة التامة في الحياة إنما هي في الإيمان، وفي نطاق حقائقه ليس إلاّ.

ألم وألم

إن زوال الألم لذةٌ، كما أن زوال اللذة ألمٌ.

قوة الصبر

إن الإنسان إن لم يشتت قوة صبره يميناً وشمالاً ـ إلى الماضي والمستقبل ـ وسدّدها إلى اليوم الذي هو فيه، فإنها كافية لتحل له حبال المضايقات .

البشرية والقرآن

إن لم تفقد البشرية صوابها كلياً ولم تقم عليها قيامة ـ مادية أو معنوية ـ فستبحث حتماً عن القرآن الكريم المعجز البيان .

رسائل النور وقراؤها

إن كل قارئ للرسائل يستطيع أن يستفيد منها شيئاً لنفسه إلاّ أنه لا يستطيع أن يستوعب كل مسألة من مسائلها؛ ذلك لأنها إيضاح لحقائق الإيمان. فهي دروس علمية، ومعرفة إلهية، وسكينة للقلب وعبادة لله في الوقت نفسه.

سعادة وشقاء

إن من عرف الله وأطاعه سعيدٌ ولو كان في غياهب السجن، ومن غفل عنه ونسيه شقي ولو كان في قصور مشيدة.

نموذج للوح المحفوظ وعالم المثال

الحجة القاطعة على وجود اللوح المحفوظ وعالم المثال ونموذجها المصغر هو ما في رأس الإنسان من قوة حافظة وما يملك من قوة خيال، فمع أنهما لا تشغلان حجم حبة من خردل إلاّ أنهما تقومان بوظائفهما على أتم وجه بلا اختلاط ولا التباس وفي انتظام كامل وإتقان تام، حتى كأنهما يحتفظان بمكتبة ضخمة جداً من المعلومات والوثائق. مما يثبت لنا أن تينك القوتين نموذجان للوح المحفوظ وعالم المثال.

من الكلمة الرابعة عشرة

تسبيحات خاصة

إن لأضخم الموجودات وأكثرها سعة وشمولاً تسبيحاً خاصاً منسجماً مع عظمته وكليته، والأمر واضح ومشاهد؛ إذ السموات الشاسعة مسبّحة لله.. وكلماتها التسبيحية هي الشموس والأقمار والنجوم، كما أن الأرض الطائرة في جو السماء مسبحةٌ حامدةٌ لله، وألفاظها التحميدية هي الحيوانات والنباتات والأشجار.

عقوبات مؤجلة ومعجلة

إن القسم الأعظم من عقوبات أهل الكفر وجرائم كفرهم وإلحادهم يؤجل إلى المحكمة الكبرى في الحشر الأعظم، بينما يعاقب أهل الإيمان على قسم من خطيئاتهم في هذه الدنيا، وذلك بمقتضى حكمة ربانية مهمة.

مقتضيات التكليف والاختبار

إن هذه الدنيا دار امتحان واختبار، ودار مجاهدة وتكليف، والاختبار والتكليف يقتضيان أن تظل الحقائق مستورة ومخفية، كي تحصل المنافسة والمسابقة، وليسمو الصديقون بالمجاهدة إلى أعلى عليين مع أبي بكر الصديق، وليتردى الكذابون إلى أسفل سافلين مع مسيلمة الكذاب.

تمرد الملحدين

إن أهل الضلال والإلحاد، يبدون تمرداً غريباً، وحماقة عجيبة إلى درجة تجعل الإنسان نادماً على إنسانيته، وذلك في سبيل الحفاظ على مسلكهم المعوق لصحوة الإيمان.

من الكلمة الخامسة عشرة

أهل السماء

إن الحقيقة والحكمة تقتضيان أن يكون للسماء أهلون يناسبونها . كما هو الحال في الأرض . ويسمى في الشريعة أولئك الأجناس المختلفة: الملائكة والروحانيات .

الجمال والمشاهدون

إن ملء الأرض، مع صغرها وحقارتها بالنسبة إلى السماء، بذوي حياة وإدراك، وإعمارها حيناً بعد حين بذوي إدارك آخرين بعد إخلائها من السابقين يشير، بل يصرّح، بامتلاء السماوات ذات البروج المشيدة، تلك القصور المزينة، بذوي إدراك وشعور. فهؤلاء كالجن والإنس، مشاهدو قصر هذا العالم، مطالعو كتاب الكون، أدلاّء إلى عظمة الربوبية ومنادون إليها؛ لأن تزيين العالم وتجميله بما لا يعد ولا يحصى من التزيينات والمحاسن والنقوش البديعة، يقتضي بداهة، جلب أنظار متفكرين مستحسنين ومقدّرين معجبين .

مراكب الملائكة

إن قسماً من الأجسام السيارة ابتداءً من الكواكب السيارة وانتهاء بالقطرات الدقيقة، مراكب لقسم من الملائكة، فهم يركبون تلك الأجسام بإذن إلهي ، ويتجولون في عالم الشهادة ويتفرجون عليه .

علاقة الأرض بالسماء

إن الأرض والسماوات ذات علاقة بعضها ببعض، كعلاقة مملكتين لدولة واحدة، فبينهما ارتباط وثيق ومعاملات مهمة، فما هو ضروري للأرض من الضياء والحرارة والبركة والرحمة وما شابهها تأتي كلها من السماء إلى الأرض، أي تُرسل من هناك.

الصاعدون إلى السماء

إن لسكنة الأرض طريقاً يصعدون بها إلى السماء. إذ كما يرنو عقل كل فرد وخياله ونظره إلى السماء في كل حين، كذلك أرواح الأنبياء والأولياء الذين خفّوا بوضع أثقالهم، وأرواح الأموات الذين خلعوا أجسادهم يصعدون بإذن إلهي إلى السماء.

صفة سكان السماء

إن سكون السماء وسكوتها وانتظامها واطرادها ووسعتها ونورانيتها يدل على أن أهلها ليسوا كأهل الأرض، بل كل أهل السماء مطيعون يفعلون ما يؤمَرون، فليس هناك ما يوجب المزاحمة والاختلافات.

حقيقة الإنسان

الإنسان هو ثمرة العالم وأجمع وأبدع مصنوعات القدرة الربانية وأكثرها عجزاً وضعفاً ولطفا .

حقيقة الأرض

.إن مهد هذا الإنسان ومسكنه وهو الأرض كفء للسماء معنىً وصنعةً. ومع صغر الأرض وحقارتها بالنسبة إلى السماء فهي قلب الكون ومركزه.. ومشهر جميع معجزات الصنعة الربانية.. ومظهر جميع تجليات الأسماء الحسنى وبؤرتها.. ومعكس الفعاليات الربانية المطلقة ومحشرها وسوق عرض المخلوقات الإلهية بجود مطلق، ولاسيما عرضها لكثرة كاثرة من النباتات والحيوانات.. وهي نموذج مصغر لما يعرض في عوالم الآخرة من مصنوعات.. و مصنع يعمل بسرعة فائقة لإنتاج المنسوجات الأبدية والمناظر السرمدية المتبدلة بسرعة.. وهي مزرعة ضيقة مؤقتة لاستنبات بذور البساتين الدائمة الخالدة.

الأرواح الطيبة والأرواح الخبيثة

حيث إن الأرواح الطيبة تنطلق إلى السماء من الأرض، فلابد أن تتشبث الأرواح الخبيثة وتحاول تقليد الطيبين منها في الذهاب إلى السموات، وذلك للطافتها وخفتها، ولابد ألاّ يقبلها أهل السماء، بل يطردونها لما في طبعها من شؤم وشر.

علامات مهمة

عظمة الربوبية تقتضي أن تضع إشارة على التصرفات الغيبية الإلهية المهمة وعلامة عليها ليبصرها ذوو الإدراك والشعور ولاسيما الإنسان الحامل لأجلِّ وظيفة وهي المشاهدة والشهادة والدعوة والإشراف .

إشارات وعلامات

كما أنه سبحانه قد جعل المطر إشارة إلى معجزات الربيع، وجعل الأسباب الظاهرة علامة على خوارق صنعته، جاعلاً أهل عالم الشهادة شاهدين عليها، فلا

ريب أنه يجلب أنظار جميع أهل السماء وأهل الأرض إلى ذلك المشهد العظيم العجيب. فيظهر تلك السماء العظيمة كالقلعة الحصينة التي زينت بروجها بحراس مصطفين حولها، أو كالمدينة العامرة التي تشوق أهل الفكر إلى التأمل فيها.

زواجر قرآنية

لما كان الإنس والجن يحملان استعداداً لا نهاية له للشر والجحود، فهما قادران على تمرد وطغيان لا نهاية لهما، لذا يزجر القرآن الكريم ببلاغته المعجزة، وبأساليب باهرة سامية ويضرب الأمثال الرفيعة القيمة ويذكر مسائل دقيقة، يزجر بها الإنس والجن من الطغيان والعصيان زجراً عنيفاً يهزّ الكون كله.

تحشيدات قرآنية

إن في القرآن الكريم تحشيدات ذات أهمية بالغة، فهي ليست ناتجة من قوة الأعداء، بل من أسباب أخرى كإظهار عظمة الألوهية وفضح العدو وشناعته .

من الكلمة السادسة عشرة

مرايا

ما جميع الوجود والحياة كلها، وعالم الأرواح وعالم المثال إلاّ مرايا شبه شفافة لإظهار جمال ذلك القدوس الجليل الذي صفاته محيطة بكل شيء وشؤونه شاملة كل شيء.

مثل للقرب والبعد

إن الشمس بوساطة نورها الطليق غير المقيد، وبوساطة صورتها المنعكسة غير المادية، أقرب إليك من بؤبؤ عينك، ومع هذا فأنت بعيد عنها بعداً مطلقاً، لأنك مقيد، فيلزم التجرد من كثير من القيود، وقطع كثير من المراتب الكلية وتجاوزها كي تتقرب إليها، وهذا يستلزم أن تكبر كبر الكرة الأرضية وتعلو علو القمر، ومن بعد ذلك يمكن أن تتقرب من المرتبة الأصلية للشمس ـ إلى حدٍ ما ـ وتتقابل معها دون حجاب.

فكما أن الأمر هكذا في الشمس، كذلك في الجليل ذي الجمال، والجميل ذي الكمال (ولله المثل الأعلى) فهو أقرب إليك من كل شيء، وأنت بعيد عنه سبحانه بعداً لا حد له .

أنموذجات

إن تأملت في أعماله سبحانه، وهو المصور الأزلي، تَرَه يجعل من كل عصر أنموذجاً (موديلا) يُلبسه عالماً بكراً جديداً لطيفاً مزيناً بمعجزات قدرته، ويجعل من كل سنة مقياساً ينسج ـ بخوارق رحمته ـ كائنات بكرا على قدّه، ويجعل من كل يوم سطراً يكتب فيه موجودات بكرا جديدة مزينة بدقائق حكمته. ثم إن ذلك القدير المطلق كما جعل كل عصر وكل سنة وكل يوم أنموذجاً، فإنه قد

جعل سطح الأرض أيضاً، بل كل جبل وصحراء، وكل حديقة وبستان وكل شجر وزهر أنموذجاً وينشئ كائنات جديدة غضة متجددة مترادفة على الأرض، فيخلق دنيا جديدة، ويأتي بعالم منسق جديد بعد أن سحب ما سبق من عالم.

التكبير ومعراج الصلاة

إن كلمة ((الله اكبر .. الله اكبر)) وتكرارها في حركات الصلاة وأفعالها هي إشارة لقطع المراتب والعروج إلى مراتب الرقي المعنوي، والصعود من الدوائر الجزئية إلى الدوائر الكلية، فهي عنوان لمجمل كمالات كبرياء الله سبحانه، والتي هي خارج نطاق معرفتنا، وكأن كل كلمة من ((الله أكبر)) إشارة إلى قطع مرتبة من مراتب المعراج. وهكذا فإن البلوغ إلى ظلٍ أو شعاعٍ من حقيقة الصلاة هذه، معنىً أو نيةً أو تصوراً أو خيالاً لهو نعمة عظمى وسعادة كبرى.

الأسباب وخالقها سبحانه

إن القدير العليم والصانع الحكيم، يُظهر قدرته وحكمته، وعدم تدخل المصادفة في أي فعل من أفعاله قطعاً، بالنظام والتناسق الذي تظهره عاداتُه التي هي على صورة القوانين الكونية.. وكذا يُظهر سبحانه بشواذ القوانين الكونية، وبخوارق عاداته، وبالتغيرات الظاهرية، وباختلاف التشخصات، وبتبدل زمان النزول والظهور.. يُظهر مشيئته وإرادته، وأنه الفاعل المختار، وأن اختياره لا يرضخ لأي قيد كان، ممزقاً بهذا ستار الرتابة والاطراد، فيُعلِم: أن كل شيء، في كل آن، في كل شأن من شؤونه، في كل ما يخصه ويعود إليه، محتاج إليه سبحانه، منقاد لربوبيته.. وبهذا يشتت الغفلة، ويصرف الأنظار، أنظار الجن والإنس عن الأسباب إلى مسبب الأسباب.

المطر والشكر الدائم

إن أوقات نزول المطر . بخلاف الأمور اللازمة الأخرى ، متحولة ومتغيرة إلى درجة دخلت ضمن المغيّبات الخمسة إذ إن أهم موقع في الوجود هو للحياة والرحمة، والمطر منشأ الحياة والرحمة الخالصة، لذا فإن ذلك الماء الباعث على الحياة والرحمة المهداة ، لا يدخل ضمن القاعدة المطردة التي تحجب عن الله وتورث الغفلة، بل تكون في قبضة ذي الجلال مباشرة من دون حجاب وضمن تصرف المنعم المحيي الرحمن الرحيم. وذلك لكي تبقى أبواب الدعاء والشكر مفتوحة دائماً .

طلاقة المشيئة الإلهية

إن إعطاء الرزق، وتشخيص سيماء الإنسان وملامحه وصورته، إنما هو إحسان إلهي يوهبه له من حيث لا يحتسب، مما يبين بجلاء طلاقة المشيئة الإلهية والاختيار الرباني.

من الكلمة السابعة عشرة

عيد الدنيا وتجليات القدرة

إن الخالق الرحيم والرزاق الكريم والصانع الحكيم قد جعل هذه الدنيا على صورة عيد بهيج واحتفال مهيب ومهرجان عظيم لعالم الأرواح والروحانيات، وزيّنها بالآثار البديعة لأسمائه الحسنى، وخلع على كل روح صغيراً كان أم كبيراً، عالياً كان أم سافلاً، جسداً على قدّه وقدره، وجهّزه بالحواس والمشاعر وكل ما يوافقه للاستفادة من الآلاء المختلفة والنعم المتنوعة التي لا تعد ولا تحصى، والمبثوثة في ذلك العيد البهيج، والمعروضة في ذلك المهرجان العظيم. ومنح سبحانه لكل روح من تلك الأرواح وجوداً جسمانياً (مادياً) وأرسلها إلى ذلك العيد والمهرجان مرة واحدة، ثم قسّم ذلك العيد الواسع جداً زماناً ومكاناً إلى عصور وسنوات ومواسم، بل حتى إلى أيام وأجزاء أيام، جاعلاً من كل عصر، من كل سنة، من كل موسم، من كل يوم، من كل جزء من يوم، مهرجاناً سامياً وعيداً رفيعاً واستعراضاً عاماً لطائفة من مخلوقاته ذوات أرواح ومن مصنوعاته النباتية، ولا سيما سطح الأرض، ولا سيما في الربيع والصيف، جاعلاً أعياداً متعاقبة، الواحد تلو الآخر، لطوائف مصنوعاته الصغيرة جداً، حتى غدا ذلك العيد عيداً رائعاً جذاباً لفت أنظار الروحانيات الموجودة في الطبقات العليا والملائكة وأهل السموات إلى مشاهدته، وجلب أنظار أهل الفكر إلى مطالعته بمتعة إلى حد يعجز العقل عن استكناه متعتها..

الإنسان وختم الفناء

إنه سبحانه وتعالى يُظهر للإنسان ـ بحلول الشيخوخة ـ ختم الفناء والزوال على الأشياء الدنيوية الفتانة، ويفهّمه معانيها المريرة، مما يجعله ينفر من الدنيا ويسرع للتحري عن مطلوب باق خالد بدلاً من هذا الفاني الزائل.

الموت وشوق الرحيل

إنه تعالى يُشعر الإنسان شوقاً ورغبة في الذهاب إلى حيث رحل تسعٌ وتسعون بالمائة من أحبته الذين يرتبط معهم والذين استقروا في عالم آخر، فتدفع تلك المحبة الجادة الإنسان ليستقبل الموت والأجل بسرور وفرح.

موت المؤمن راحة وسعادة

إنه تعالى يبيّن للإنسان المؤمن ـ بنور الإيمان ـ أن الموت ليس إعداماً بل تبديل مكان، وأن القبر ليس فوهة بئر عميق بل باب لعوالم نورانية، وأن الدنيا مع جميع مباهجها في حكم سجن ضيق بالنسبة لسعة الآخرة وجمالها. فلا شك أن الخروج من سجن الدنيا والنجاة من ضيقها إلى بستان الجنان الأخروية، والانتقال من منغصات الحياة المادية المزعجة إلى عالم الراحة والطمأنينة وطيران الأرواح، والانسلاخ من ضجيج المخلوقات وصخبها إلى الحضرة الربانية الهادئة المطمئنة الراضية، سياحة بل سعادة مطلوبة بألف فداء وفداء.

ماهية الدنيا وعشقها

إنه تعالى يفهّم المنصت للقرآن الكريم ما فيه من علم الحقيقة، ويعلّمه بنور الحقيقة ماهية الدنيا، حتى يغدو عشقها والركون إليها تافهاً لا معنى له .

الدنيا والتوكل

بغير الله دنياك آلام وعذاب، وفناء وزوال، وهباء في هباء. فتعال، توكل عليه في بلواك!

التوكل والبلاء

تبسّم بالتوكل في وجه البلاء ، ليبتسم البلاء. فكلما تبسّم صغُر وتضاءل حتى يزول .

تجارة رابحة

إن كنت تبغي تجارة رابحة، فهي في استبدال عمر باقٍ لا يزول بعمرك الفاني الزائل .

صفقة مع الله

إن الله يشتري منك ملكه، ويعطيك ثمنه عظيماً، وهو الجنة. وإنه يحفظ لك ذلك الملك ويرفع قيمته وثمنه وسيعيده إليك بأبقى صورة وأكملها.

محبوب زائف

محبوب يغرق في أفق المغيب ، ليس بمحبوب جميل، فالمحكوم عليه بالزوال لن يكون جميلاً حقاً ولا يحبه القلب، إذ القلب الذي خلق أصلاً ليعشق خالداً، ويعكس أنوار الصمد، لا يود الزوال ولا ينبغي له.

النعمة والمنعم

نعم!! إن الإنعام يشاهَد طي النعمة، ولطف الرحمن يُستشعر في ثنايا النعمة. فإن نفذت من خلال النعمة إلى رؤية الإنعام فقد وجدت المنعم .

وصال مؤلم

وصال يعقبه الزوال مؤلم، هذه اللقاءات المكدرة بالزوال غير جديرة باللهفة، بل لا يستحق شوقاً وصال يعقبه فراق؛ لأن زوال اللذة مثلما هو ألم فإن تصور زوال اللذة كذلك ألم مثله .

بقاء ينبثق من الفناء

إن كنت طالباً للبقاء حقاً، وأنت ما زلت في الدنيا الفانية فاعلم:أن البقاء ينبثق من الفناء، فجُد بفناء النفس الأمارة لتحظى بالبقاء!

دعوة إلى الخلود

تجرّد من كل خلق ذميم هو مبعث عبادة الدنيا. أفنِهِ من نفسك، جُد بما تملكه في سبيل المحبوب الحق. أبصر عقبى الموجودات الماضية نحو العدم فالسبيل في الدنيا إلى البقاء إنما تمر من درب الفناء.

طريق إلى الأسماء الحسنى

إن كل أثر من آثار الأحد الصمد إنما هو رسالته المكتوبة. كل منه يبين أسماء صانعه الحسنى. فإن استطعت العبور من النقش الظاهر إلى المعنى الباطن فقد وجدت طريقاً إلى الأسماء الحسنى من خلال المسميات.

خديعة

يا أسفى، لقد خُدعنا، فظننا هذه الحياة الدنيا مستقرة دائمة. وأضعنا بهذا الظن كل شيء . نعم، إن هذه الحياة غفوة قد مضت كرؤيا عابرة! وهذا العمر الذي لا قرار له يذهب ذهاب الريح .

غرور

إن الإنسان المغرور، المعتد بنفسه، ويحسبها أبدية، محكوم عليه بالزوال. إنه يذهب سريعاً. أما الدنيا التي هي مأواه، فستهوي في ظلمات العدم، فتذهب الآمال أدراج الرياح وتبقى الآلام محفورة في الأرواح .

يا نفس !!

تعالي يا نفسي المشتاقة إلى الحياة، والطالبة العمر الطويل، والعاشقة للدنيا، والمبتلاة بآلام لا حدّ لها وآمال لا نهاية لها، يا نفسي الشقية انتبهي وعودي إلى رشدك، ألا ترين أن اليراعة التي تعتمد على ضوئها تظل بين ظلمات الليل البهيم، بينما النحل التي لا تعتد بنفسها، تجد ضياء النهار، وتشاهد جميع صديقاتها من الأزهار مذهّبة بضوء الشمس.. كذلك أنتِ، إن اعتمدت على وجودك وعلى نفسك وعلى أنانيتك، فستكونين كاليراعة. ولكن إن ضحيت بوجودك في سبيل خالقك الكريم الذي وهبه لك سوف تكونين كالنحل. وتجدين نور وجود لا حدّ له. فضحي بنفسك، إذ هذا الوجود وديعة عندك وأمانة لديك.

العقل الحائر

العقل المبتلى بمظاهر الدنيا ولا يملك إلا معارف آفاقية خارجية، تجره سلسلة أفكاره إلى حيث العدم وإلى غير شيء. فتراه يضطرب من حيرته ويرتعد من هول الموقف فيصرخ يائساً جزعاً، باحثاً عن مخرج من هذا المأزق ليبلغه طريقاً سوياً يوصله إلى الحقيقة.

حين تزول الغفلة

لما زالت الغفلة، أبصرت نور الحق عياناً ،وإذا الوجود برهان ذاته، والحياة مرآة الحق..، وإذا العقل مفتاح الكنز، والفناء باب البقاء.

ولقد وجدت الفقر كنز الغنى وابصرت القوة في العجز.

إن وجدت الله ...

إن وجدت الله فالأشياء كلها لك ، نعم إن كنت عبداً لمالك الملك، فملكه لك. وإن كنت عبداً لنفسك معجباً بها، فأبصر بلاءً وعبئاً بلا عدٍّ، وأذقها عذاباً بلا حد. وإن كنت عبداً لله حقاً مؤمناً به، فأبصر صفاءً بلا حدٍ، وذق ثواباً بلا عد، ونِل سعادة بلا حدٍ.

من الكلمة الثامنة عشرة

حسن في كل شيء

إنّ كل شيء في الوجود، بل حتى ما يبدو أنه أقبح شيء، فيه جهة حُسنٍ حقيقية، فما من شيء في الكون، وما من حادث يقع فيه إلاّ وهو جميل بذاته، أو جميل بغيره، أي جميل بنتائجه التي يفضي إليها .

حسن في الخريف والشتاء

في ثنايا العواصف الخريفية المدمرة المكتسحة للأشجار والنباتات، والهازة للأوراق الخضراء من فوق الأفنان، حاملةً نذر البين، وعازفةً لحن الشجن والموت والاندثار، هناك بشارة الانطلاق من أسر العمل لملايين الحشرات الرقيقة الضعيفة التي تتفتح للحياة في أوان تفتح الأزهار، فتحافظ عليها من قَرّ الشتاء وضغوط طقسه، فضلاً عن أن أنواء الشتاء القاسية الحزينة تهيئ الأرض استعداداً لمقدم الربيع بمواكبه الجميلة الرائعة.

حسن غير متوقع

نعم! إن هناك تفتحاً لأزهار معنوية كثيرة تختبئ تحت ستار عصف العواصف إذا عصفت وزلزلة الأرض إذا تزلزلت، وانتشار الأمراض والأوبئة إذا انتشرت .

نتائج جميلة لمقدمات قبيحة

بذور القابليات، ونوى الاستعدادات الكامنة ـ التي لم تستنبت بعدُ ـ تتسنبل وتتجمل نتيجة حوادث تبدو قبيحة في ظاهر شأنها، حتى كأن التقلبات العامة، والتحولات الكلية في الوجود إن هي إلاّ أمطارٌ معنوية تنزل على تلك البذور لتستنبتها.

من الكلمة التاسعة عشرة

قصر نظر

إن الإنسان المفتون بالمظاهر والمتشبث بها والذي لا ينظر إلى الأمور والأحداث إلاّ من خلال أنانيته ومصلحته بالذات، تراه تتوجه أنظارُه إلى ظاهر الأمور، وتنحصر فيها، فيحكم عليها بالقبح!..

حكم خفية

الأشجار والأعشاب ذات الأشواك التي تدمي يد الإنسان الممتدة إليها يتضايق منها الإنسان ويراها شيئاً ضاراً لا جدوى منه، بينما هي لتلك الأشجار والأعشاب في منتهى الأهمية حيث تحرسها وتحفظها مِمّنْ يريد مسّها بسوء.

دفء في الجليد

إن هطول الثلوج الذي يغمر الأشياء في فصل الشتاء ربما يثير بعض الضيق لدى الإنسان، لأنه يحرمه من لذة الدفء ومناظر الخضرة، بينما تختفي في قلب هذا الجليد غايات دافئة جداً ونتائج حلوة يعجز الإنسان عن وصفها.

نسيم التجلي في السحر

نسيم التجلي يهبّ وقت الأسحار، فانتبهى يا عيني في السحر، واسألي المولى العناية، فالسحر متابة المذنبين، فهب يا قلبي تائباً في الفجر مستغفراً لدى باب مولاك.

رسول الله صلى الله عليه وسلم

هو الذي لعظمته المعنوية صار سطحُ الأرض مسجده، ومكةُ محرابه، والمدينة منبره.. وهو إمام جميع المؤمنين يأتمون به صافّين خَلْفَه.. وخطيب جميع البشر يبيّن لهم دساتير سعاداتهم.. ورئيس جميع الأنبياء يزكّيهم ويصدّقهم بجامعية دينه لأساسات أديانهم.. وسيد جميع الأولياء يرشدهم ويربّيهم بشمس رسالته.. وقطبٌ في مركز دائرة حلقة ذكر تركّبَت من الأنبياء والأخيار والصديقين والأبرار المتفقين على كلمته الناطقين بها..

الحق والحقيقة

إن الحق أغنى من أن يدلِّس، ونظر الحقيقة أعلى من أن يُدلَّس عليه!

مقام الرسول صلى الله عليه وسلم

فيا حسرة على الغافلين! ويا خسارة على الضالين! ويا عجبا من بلاهة أكثر الناس! كيف تعامَوا عن هذا الحق وتصامّوا عن هذه الحقيقة؟ لا يهتمون بكلام هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم مع أن من شأن مِثله أن تُفدى له الأرواحُ ويُسرع إليه بترك الدنيا وما فيها.

من الكلمة العشرين

البرهان الكافي

اعلم! أن القرآن الكريم الذي هو بحر المعجزات والمعجزة الكبرى يثبت النبوة الأحمدية والوحدانية الإلهية إثباتاً، ويقيم حججا ويسوق براهين ويبرز أدلة تغني عن كل برهان آخر .

القرآن الحكيم

هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات ، والترجمان الأبدي لألسنتها التاليات للآيات التكوينية، ومفسّر كتاب العالم.. وكذا هو كشافٌ لمخفيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السموات والأرض.. وكذا هو مفتاح لحقائق الشؤون المُضْمَرة في سطور الحادثات.. وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة.. وكذا هو خزينة المخاطبات الأزلية السبحانية والالتفاتات الأبدية الرحمانية وكذا هو أساسٌ وهندسةٌ وشمسٌ لهذا العالم المعنوي الإسلامي.. وكذا هو خريطة للعالم الأخروي.. وكذا هو قولٌ شارحٌ وتفسير واضحٌ وبرهان قاطعٌ وترجمان ساطعٌ لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه.. وكذا هو مربٍّ للعالم الإنساني.. وكالماء وكالضياء للإنسانية الكبرى التي هي الإسلامية... وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر، وهو المرشد المهدي إلى ما خُلِقَ البشرُ له..

القرآن والإنسان

هو للإنسان: كما أنه كتاب شريعة كذلك هو كتاب حكمة، وكما أنه كتاب دعاء وعبودية كذلك هو كتاب أمر ودعوة، وكما أنه كتاب ذكر كذلك هو كتاب فكر، وكما أنه كتاب واحد، لكن فيه كتب كثيرة في مقابلة جميع حاجات الإنسان المعنوية، كذلك هو كمنزل مقدسٍ مشحون بالكتب

والرسائل. حتى إنه أبرز لمشرب كل واحدٍ من أهل المشارب المختلفة، ولمسلكِ كل واحدٍ من أهل المسالك المتباينة من الأولياء والصديقين ومن العرفاء والمحققين رسالةً لائقةً لمذاق ذلك المشرب وتنويره، ولمساق ذلك المسلك وتصويره حتى كأنه مجموعة الرسائل.

الحوادث الجزئية والقانون العام

إن في القرآن الحكيم حوادث جزئية، ولكن وراء كل حادث يكمن دستور كلي عظيم. وإنما تُذكر تلك الحوادث لأنها طرف من قانون عام شامل كلي وجزء منه.

الإنسان والملائكة

إن تعليم الإنسان ـ المالك لاستعداد جامع ـ علوماً كثيرة لا تحد، وفنوناً كثيرة لا تحصى حتى تستغرق أنواع الكائنات، فضلاً عن تعليمه المعارف الكثيرة الشاملة لصفات الخالق الكريم سبحانه وشؤونه الحكيمة.. إن هذا التعليم هو الذي أهّل الإنسان لينال أفضلية، ليس على الملائكة وحدهم، بل أيضاً على السموات والأرض والجبال، في حمل الأمانة الكبرى.

الإنسان والملائكة والشيطان

إن في سجود الملائكة لآدم وعدم سجود الشيطان له ـ وهي حادثة جزئية غيبية ـ طرفاً لدستور مشهود كلي واسع جداً، وفي الوقت نفسه يبين حقيقة عظيمة هي أن القرآن الكريم بذكره طاعة الملائكة وانقيادهم لشخص آدم عليه السلام وتكبّر الشيطان وامتناعه عن السجود، إنما يفهّم أن أغلب الأنواع المادية للكائنات وممثليها الروحانيين والموكلين عليها، مسخرة كلها ومهيأة لإفادة جميع حواس الإنسان إفادة تامة، وهي منقادة له .

لين الصخور

إن أصلب الصخور وأضخمها وأصمّها تلين ليونة الشمع تجاه الأوامر التكوينية، ولا تبدي أية مقاومة أو قساوة تُذكر تجاه تلك الموظفات الإلهية أي المياه الرقيقة والجذور الدقيقة والعروق اللطيفة لطافة الحرير، حتى كأنها عاشق يشق قلبه بمسٍّ من أنامل تلك اللطيفات والجميلات، فتتحول تراباً في طريقهن..

خشوع الصخور

إن الجبال التي على سطح الأرض، والتي تجمدت بعد أن كانت في حالة مائعة وسائلة. وأصبحت كتلاً ضخمة من الصخور الصلدة، تتفتت وتتصدع، بتجليات جلالية، تتجلى على صورة زلازل وانقلابات أرضية، مثلما تناثر وأصبح دكاً ذلك الجبل الذي تجلّى عليه الرب سبحانه في طلب موسى عليه السلام رؤية الله جل جلاله.

في القرآن كل شيء

إن في القرآن كل شيء. ولكن لا يستطيع كل واحد أن يرى فيه كلّ شيء. لأن صور الأشياء تبدو في درجات متفاوتة في القرآن الكريم، فأحياناً توجد بذور الشيء أو نواه، وأحياناً مجمل الشيء أو خلاصته، وأحياناً دساتيره، وأحياناً توجد عليه علامات. ويرد كل من هذه الدرجات؛ إما صراحة أو أشارة أو رمزاً أو إبهاماً أو تنبيهاً. فيعبّر القرآن الكريم عن أغراضه ضمن أساليب بلاغته، وحسب الحاجة، وبمقتضى المقام والمناسبة.

الأنبياء وكمال البشرية

يبيّن القرآن الكريم أن الأنبياء عليهم السلام قد بُعثوا إلى مجتمعات إنسانية ليكونوا لهم أئمة الهدى يُقتدى بهم، في رقيهم المعنوي. ويبين في الوقت نفسه أن

الله قد وضع بيد كلٍ منهم معجزة مادية، ونَصَبهم روّاداً للبشرية وأساتذة لها في تقدمها المادي أيضاً. أي أنه يأمر بالاقتداء بهم واتباعهم اتباعاً كاملاً في الأمور المادية والمعنوية؛ إذ كما يحض القرآنُ الكريم الإنسان على الاستزادة من نور الخصال الحميدة التي يتحلى بها الأنبياء عليهم السلام، وذلك عند بحثه عن كمالاتهم المعنوية، فإنه عند بحثه عن معجزاتهم المادية أيضاً يومئ إلى إثارة شوق الإنسان ليقوم بتقليد تلك المعجزات التي في أيديهم، ويشير إلى حضّه على بلوغ نظائرها، بل يصح القول: إن يد المعجزة هي التي أهدت إلى البشرية الكمال المادي وخوارقه لأول مرة، مثلما أهدت إليها الكمال المعنوي.

حدود التقدم البشري

إن القرآن الكريم بإيراده معجزات الأنبياء إنما يخط الحدود النهائية لأقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في مجال العلوم والصناعات، ويشير بها إلى أبعد نهاياتها، وغاية ما يمكن أن تحققه البشرية من أهداف، فهو بهذا يعيّن أبعد الاهداف النهائية لها ويحددها، ومن بعد ذلك يحث البشرية ويحضّها على بلوغ تلك الغاية، ويسوقها إليها. إذ كما أن الماضي مستودع بذور المستقبل ومرآة تعكس شؤونه، فالمستقبل أيضاً حصيلة بذور الماضي ومرآة آماله.

الحديد والنحاس والتقدم

إن بلوغ البشرية أقصى أمانيها في الصناعة، وكسبها القدرة الفائقة في مجال القوة المادية، إنما هو بتليين الحديد وبإذابة النحاس (القِطر) .

منافع الحيوانات للإنسان

ما دام سطح الأرض مائدة رحمانية أقيمت تكريماً للإنسان، فيمكن إذاً أن تكون معظم الحيوانات والطيور التي تنتفع من هذه المائدة مسخّرة للإنسان، ضمن تصرفه وتحت خدمته. فالإنسان الذي استخدم النحل ودودة القز ـ تلكم

الخَدَمة الصغار ـ وانتفع مما لديهم من إلهام إلهي، والذي استعمل الحمام الزاجل في بعض شؤونه وأعماله، واستنطق الببغاء وأمثاله من الطيور، فضمّ إلى الحضارة الإنسانية محاسن جديدة، هذا الإنسان يمكنه أن يستفيد إذاً كثيراً إذا ما عَلِم لسان الاستعداد الفطري للطيور، وقابليات الحيوانات الأخرى، حيث هي أنواع وطوائف كثيرة جداً، كما استفاد من الحيوانات الأليفة .

النار والأمر الإلهي

النار ـ كسائر الأسباب ـ ليس أمرها بيدها، فلا تعمل كيفما تشاء حسب هواها وبلا بصيرة، بل تقوم بمهمتها وفق أمر يُفرض عليها. فلم تحرق سيدنا إبراهيم لأنها أُمرت بعدم الحرق.

وعلم آدم الأسماء كلها

إن كل ما ناله الإنسان ـ من حيث جامعية ما أودع الله فيه من استعدادات ـ من الكمال العلمي والتقدم الفني، ووصوله إلى خوارق الصناعات والاكتشافات، تعبّر عنه الآية الكريمة بتعليم الاسماء: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١] .

الدنيا والحياة الأبدية

إن الدنيا دار ضيافة، وإن الإنسان ضيف يلبث فيها قليلاً، وله وظائف جمة، وهو مكلف بتحضير وتجهيز ما يحتاجه لحياته الأبدية الخالدة في هذا العمر القصير، لذلك يجب عليه أن يقدّم ما هو الأهم والألزم.

الأرواح وحلبة السباق

إن الدين امتحان، وإن التكاليف الإلهية تجربة واختبار من أجل أن تتسابق الأرواح العالية والأرواح السافلة، ويتميز بعضها عن بعض في حلبة السباق.

القرآن الحكيم

إن القرآن العظيم، حكيمٌ يعطي لكل شيء قدره من المقام، ويرى القرآن من ثمرات الغيب التقدمَ الحضاري البشري قبل ألف وثلاثمائة سنة المستترة في ظلمات المستقبل، أفضل وأوضح مما نراها نحن وسنراها. فالقرآن إذاً كلام مَن ينظر إلى كل الأزمنة بما فيها من الأمور والأشياء في آن واحد..

من الكلمة الواحدة والعشرين

العاجز

من عجز عن إصلاح نفسه فهو عن غيرها أعجز..

التضرع يقاوم الأحزان

إن القلب المتعرض لأحزانٍ وآلام لا حدّ لها، المفتون بآمال ولذائذ لا نهاية لها، لا يمكنه أن يكسب قوةً ولا غذاء إلاّ بطرقِ باب الرحيم الكريم، القادر على كل شيء بكل تضرع وتوسل.

الصلاة وماء الحياة

إن الروح المتعلقة بأغلب الموجودات الآتية والراحلة سريعاً في هذه الدنيا الفانية، لا تشرب ماء الحياة إلاّ بالتوجه بالصلاة إلى ينبوع رحمة المعبود الباقي والمحبوب السرمدي.

الاستنشاق من نافذة الصلاة

إن السر الإنساني الشاعر الرقيق اللطيف، وهو اللطيفة الربانية النورانية، والمخلوق للخلود، والمشتاق له فطرةً والمرآة العاكسة لتجليات الذات الجليلة.. لابد أنه محتاج أشد الحاجة إلى التنفس، في زحمة وقساوة وضغوط هذه الأحوال الدنيوية الساحقة الخانقة العابرة المظلمة، وليس له ذلك إلاّ بالاستنشاق من نافذة الصلاة .

يا نفسي !

إن الصلاة التي هي قوتٌ لقلبك العاجز الفقير وسكينةٌ له في هذا المضيف الموقت وهو الدنيا. وهي غذاءٌ وضياء لمنزلك الذي لابد أنك صائرة إليه، وهو القبر. وهي عهدٌ وبراءةٌ في محكمتك التي لا شك أنك تحشرين إليها. وهي التي ستكون نوراً وبُراقاً على الصراط المستقيم الذي لابد أنك سائرة عليه.. فصلاة هذه نتائجها هل هي بلا نتيجة وجدوى؟ أم أنها زهيدة الأجرة؟

من الكلمة الثانية والعشرين

الأفكار السيئة لا تضر إلا..

اعلم أنه لا مسؤولية في تداعي الأفكار، لأنها لا إرادية غالباً، إذ لا اختلاط ولا تماس فيها، وإنما هي مجرد مجاورة ولا شيء بعد ذلك، لذا فلا تسري طبيعة الأفكار بعضها ببعض. ومن ثم فلا يضر بعضها بعضاً. إذ كما أن مجاورة ملائكة الإلهام للشيطان حول القلب لا بأس فيها، ومجاورة الأبرار للفجار وقرابتهم ووجودهم في مسكن واحد لا ضرر فيه، كذلك إذا تداخلت خواطر سيئة غير مقصودة بين أفكار طاهرة نزيهة لا تضرّ في شيء إلاّ إذا كانت مقصودة، أو أن تشغل بها نفسك كثيراً، متوهماً ضررها بك .

دين اليسر

اعلم أن الإسلام دين الله الحق، دين يسر لا حرج فيه، وأن المذاهب الأربعة كلها على الحق. فإن أدرك المرء تقصيره تلافاه بالاستغفار الذي هو أثقل ميزاناً من الغرور الناشئ من إعجابه بالأعمال الصالحة.

أوهام لا تضر

إن توهم الكفر ليس كفراً كما أن تخيل الكفر ليس كفراً وإن تصور الضلالة ليس ضلالة مثلما أن التفكير في الضلالة ليس ضلالة، ذلك لأن التخيل والتوهم والتصور والتفكر.. كل أولئك متباين ومتغاير كلياً عن التصديق العقلي والإذعان القلبي .

العالم المتآزر

في هذا العالم البديع من النظام الشامل والانتظام الكامل كأن كل شيء فاعل مختار حي يشرف على نظام المملكة كلها، ويتحرك منسجماً مع ذلك النظام العام. حتى ترى الأشياء المتباعدة جداً يسعى الواحد منها نحو الآخر للتعاون والتآزر.

قانون التعاون

إنه ما من شيء في هذا العالم إلاّ وكأنه يتطلع إلى الآخر فيغيثه، أو يرى الآخر فيشد من أزره ويعاونه.. فيكمل الواحد عمل الآخر ويكون ظهيره وسنده، ويتوجه الجميع جنباً إلى جنب في طريق الحياة.

الملك الحقيقي

مَن كان مالكاً للمزرعة فهو مالك المحاصيل، ومَن كان مالكاً للبحر فهو مالك لما فيه.

أدلة على الله

إن كل ما هو متقن الصنع يدل دلالة واضحة على ذلك الفاعل الذي لا نراه، بل كأنه يعلن عنه صراحةً، بل كأن كل نسيج مغرز بالزهور، وكل ماكنة بديعة، وكل مأكول لذيذ، إنما هو علامة الصانع المعجز وخاتمه وآيته وطغراؤه فكل منه يقول بلسان الحال: ((مَن كنتُ انا مصنوعُه، فموضعي الذي أنا فيه مُلكُه)). وكل نقش يقول: ((مَن قام بنسجي ونقشي فالطَول الذي أنا فيه هو منسوجُه)). وكل لقمة لذيذة تقول: ((مَن يصنعني ويُنضجني فالقِدر الذي أطبخُ فيه مُلكُه)). وكل ماكنة تقول: ((مَن قام بصنعي فكل ما في العالم من أمثالي مصنوعه وهو مالكه .

علامات دالة على الله

تأمل في بستان هذه الكائنات، وانظر إلى جنان هذه الأرض، وأنعم النظر في الوجه الجميل لهذه السماء المتلألئة بالنجوم تَرَ أن للصانع الجليل جل جلاله ختماً خاصاً بمن هو صانع كل شيء على كل مصنوع من مصنوعاته، وعلامة خاصة بمن هو خالقُ كل شيء على كل مخلوق من مخلوقاته، وآية لا تقلَّد خاصة بسلطان الأزل والأبد على كل منشورٍ من كتابات قلم قدرته على صحائف الليل والنهار وصفحات الصيف والربيع.

آية معجزة

إن تحويل الأطعمة المتنوعة ـ سواء الحيوانية أو النباتية ـ إلى جسم خاص بنظام كامل دقيق، ونسج جلد خاص للكائن وأجهزة معينة من تلك المواد المتعددة لا شك أنه عمل قدير على كل شيء وعليم مطلق العلم.

إدارة الحياة

إن خالق الموت والحياة يدير الحياة في هذه الدنيا، إدارة حكيمة بقانون أمري معجِز، بحيث لا يمكن أن يطبّق ذلك القانون وينفّذه إلاّ مَن يصرّف جميع الكون في قبضته.

تجليات نورانية

للّه سبحانه وهو نور السموات والأرض تجليات نورانية، من حيث ((الإحياء)) وإفاضة الحياة، فهو آية جلية وطغراء واضحة يضعها سبحانه على كل ذي حياة، بحيث لو افترض اجتماع جميع الأسباب وأصبح كلُّ سبب فاعلاً مختارا فلن تستطيع منحَ حياةٍ لموجود.

معجزات بلا حد

كل ذي حياة هو بحدّ ذاته معجزةٌ من معجزات القدرة الإلهية، إذ هو على صورة نقطة مركزية (كالبؤرة) لتجليات الأسماء الحسنى، التي كل منها بمثابة شعاع من نوره سبحانه .

ضروب من المستحيل

لو لم يُسنَد ما يشاهَد على الكائن الحيّ من صنعةٍ بديعة في الصورة، وحكمةٍ بالغة في النظام وتجلٍ باهر لسر الأحدية، إلى الأحد الصمد جلّ جلالُه، للزم قبول قدرةٍ فاطرة مطلقة غير متناهية مستترة في كل ذي حياة، ووجود علمٍ محيط واسع فيه، مع إرادة مطلقة قادرة على إدارة الكون، بل يجب قبول وجود بقية الصفات التي تخص الخالق سبحانه في ذلك الكائن، حتى لو كان الكائن الحي ذبابة أو زهرة .

شهادات غير متناهية

إن كل ذرة تشهد بلسان عجزها على وجود القدير المطلق، وتشهد بإظهارها الانسجام التام مع نظام الكون العام على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى.

ترتيل الأحياء

إن كل ذي حياة يرتّل بلسان الحياة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ١-٢]..

الكون العابد

ارفع رأسك وافتح عينيك، وألق نظرةً على كتاب الكون الكبير تَرَ أنه يقرأ على الكون كله، ختمَ الوحدة بوضوح تام، بقدر عظمته وسعته ذلك لأن هذه الموجودات كأجزاء معمل منتظم، وأركان قصر معظم، وأنحاء مدينة عامرة، كُلّ جزءٍ ظهير للآخر، كل جزء يمدّ يد العون للآخر، ويجدّ في إسعاف حاجاته. والأجزاء جميعاً تسعى يداً بيد بانتظام تام في خدمة ذوي الحياة، متكاتفة متساندة متوجهة إلى غاية معينة في طاعة مدبّر حكيمٍ واحدٍ.

دستور التعاون

إن دستور ((التعاون)) الجاري الظاهر ابتداءً من جري الشمس والقمر، وتعاقب الليل والنهار وترادف الشتاء والصيف.. إلى إمداد النباتات للحيوانات الجائعة، وإلى سعي الحيوانات لمساعدة الإنسان الضعيف المكرم، بل إلى وصول المواد الغذائية على جناح السرعة لإغاثة الأطفال النحاف، وإمداد الفواكه اللطيفة، بل إلى خِدمة ذرات الطعام لحاجة حجيرات الجسم... كل هذه الحركات الجارية وفق دستور ((التعاون)) تُري لمن لم يفقد بصيرته كلّياً أنها تجري بقوةِ مربٍّ واحد كريم مطلق الكرم، وبأمر مدبّر واحد حكيم مطلق الحكمة.

حكمة وعناية ورحمة ورزق

إن هذه الموجودات؛ ابتداءً من الذرات إلى الشموس، سواءً أكانت أفراداً أم أنواعاً وسواءً أكانت صغيرة أم كبيرة، قد اُلبست ثوباً رائعاً جداً، نُسج هذا الثوب من قماش (الحكمة) المزيّن بنقوش الثمرات والنتائج والغايات والفوائد والمصالح.. وأكسيت بحلّةِ (العناية) المطرزة بأزاهير اللطف والإحسان قدّت وفصلت حسب قامة كل شيء ومقاس كل موجود.. وعلى حلّة العناية هذه قُلّدت شارات (الرحمة) الساطعة ببريق التودد والتكرم والتحنن، والمتلألئة

بلمعات الإنعام والإفضال وعلى تلك الشارات المرصعة المنورة نُصبت مائدةُ (الرزق) العام على امتداد سطح الأرض بما يكفي جميع طوائف ذوي الحياة وبما يفي سد جميع حاجاتهم.

الربوبية الشاملة

الربوبية (...) على أدنى مخلوق، إنما هي من شأن مَن يُمسك في قبضة تصرّفه جميعَ العناصر، ورعايةُ أدنى حيوان إنما هي من شأن مَن لا يعجزه تربية جميع الحيوانات والنباتات والمخلوقات ضمن قبضة ربوبيته!.

مالك الملك

إن كل فرد يقول بلسان مماثلته ومشابهته مع سائر الأفراد: ((مَنْ كان مالكاً لجميع نوعي يمكنه أن يكون مالكي، وإلاّ فلا)).

اللّه خالق كل شيء

إذا أُسند الخلق إلى الحق سبحانه وتعالى فإن جميع الأشياء حُكْمها في سهولة الخلق كخلق شيء واحد، وإن أُسند إلى الأسباب فإن كل شيء يكون حُكمه في الخلق صعباً كصعوبة خلق جميع الأشياء .

شهادة الحياة والموت

إن تجدد المصنوعات الجميلة وتبدّل المخلوقات اللطيفة، ضمن الغروب والشروق وباختلاف الليل والنهار، وبتحول الشتاء والصيف، وتبدل العصور والدهور، كما أنها تشهد على وجود ذي جمال سرمدي رفيع الدرجات دائم التجلي، وعلى بقائه سبحانه ووحدته، فإن موت تلك المصنوعات وزوالها ـ بأسبابها الظاهرة ـ يبيّن تفاهة تلك الأسباب وعجزها، وكونها ستارا وحجاباً ليس إلاّ.. فيثُبت لنا هذا الوضع ـ إثباتاً قاطعاً ـ أن هذه الخِلقة والصَنعة، وهذه

النقوش والتجليات إنما هي مصنوعاتٌ ومخلوقاتٌ متجددةٌ للخالق جل جلاله الذي جميع أسمائه حُسنى مقدّسة، بل هي نقوشه المتحولة، ومراياه المتحركة وآياته المتعاقبة، وأختامه المتبدلة بحكمة.

تعليم وشهادة

إن كتاب الكون الكبير هذا إذ تعلّمنا آياته التكوينية الدالة على وجوده سبحانه وعلى وحدانيته، يشهد كذلك على جميع صفات الكمال والجمال والجلال للذات الجليلة. ويثبت أيضاً كمال ذاته الجليلة المبرأة من كل نقص، والمنزّهة عن كل قصور .

الرسول الكريم

إن أعظم آية في كتاب الكون الكبير، وأعظم اسمٍ في ذلك القرآن الكبير، وبذرة شجرة الكون، وأنور ثمارها، وشمس قصر هذا العالم، والبدر المنوّر لعالم الإسلام، والدال على سلطان ربوبية الله، والكشّاف الحكيم للغز الكائنات، هو سيدنا محمد الأمين عليه أفضل الصلاة والسلام، الذي ضم الأنبياء جميعاً تحت جناح الرسالة، وحمى العالم الإسلامي تحت جناح الإسلام، فحلّق بهما في طبقات الحقيقة متقدماً موكبَ جميع الأنبياء والمرسلين، وجميع الأولياء والصديقين، وجميع الأصفياء والمحققين مبيّناً الوحدانية واضحة جلية بكل ما أوتي من قوة، فاتحاً طريقاً سوياً إلى عرش الأحدية، دالاً على طريق الإيمان بالله، مثبتاً الوحدانية الحقة.. فأنّى لوهمٍ أو شبهةٍ أن يكون لهما الجرأة ليسدا أو يحجبا ذلك الطريق السوي؟

صدى سماوي

إذا ألصقت أذنك إلى صدر لسان الغيب مصغياً فإنك ستسمع من أعمق الأعماق صدىً سماوياً في غاية الإيناس والإمتاع، وفي منتهى الجدية والسموّ المجهّز بالبرهان، يردّد: (لا إله إلاّ هو) ويكررها بقطعية جازمة ويفيض عليك من العلم اليقين بدرجة عين اليقين بما يقوله من حق اليقين.

دليلان على التوحيد

إن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، والفرقان الحكيم الذي كل منهما نور باهر، أظهرا حقيقة واحدة؛ هي حقيقة التوحيد.

عجب !!

أيها الإنسان الحقير المتمرّد السادر في الضلالة كيف تتمكن أن تضارع هذه الشموس بما في رأسك من بصيص خافت هزيل؟ وكيف يمكنك الاستغناء عن تلك الشموس، وتسعى إلى إطفائها بنفخ الأفواه؟ تباً لعقلك الجاحد، كيف تجحد ما قاله لسان الغيب ولسان الشهادة من كلام باسم رب العالمين ومالك الكون وتنكر ما دعا إليه من دعوة .

من الكلمة الثالثة والعشرين

بين الكفروالإيمان

إن الإنسان يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين فيكتسب بذلك قيمةً تجعلُه لائقاً بالجنة، بينما يتردّى بظلمةِ الكفر إلى أسفل سافلين فيكون في وضعٍ يؤهّلُه لنار جهنم، ذلك لأنّ الإيمانَ يربطُ الإنسان بصانعهِ الجليل، ويربطه بوثاق شديد ونسبةٍ إليه، فالإيمانُ إنما هو انتسابٌ؛ لذا يكتسب الإنسان بالإيمان قيمة سامية من حيث تجلّي الصنعةِ الإلهية فيه، وظهورِ آيات نقوشِ الأسماء الربانية على صفحةِ وجوده. أما الكفرُ فيقطع تلك النسبةَ وذلك الانتسابَ، وتغشى ظلمته الصنعةَ الربانية وتطمِس على معالمها، فَتنقُص قيمةَ الإنسان حيث تنحصر في مادّته فحسب؛ وقيمةُ المادة لا يُعتدّ بها فهي في حكم المعدوم، لكونها فانية، زائلة، وحياتُها حياةٌ حيوانيةٌ مؤقتة.

قيمة المادة وقيمة الصنعة

إن قيمةَ المادة تختلف عن قيمة الصنعة ومدى الإجادة فيما يصنعه الإنسان، فنرى أحياناً القيمتين متساويتين، وقد تكون المادةُ أكثرَ قيمةً من الصنعة نفسِها، وقد يحدث أن تحتوي مادة حديد على قيمة فنيةٍ وجمالية عاليةٍ جداً، ويحدث أن تحوز صنعةٌ نادرة نفيسة جداً قيمةَ ملايين الليرات رغم كونها من مادة بسيطة جداً.

الإنسان أرقى معجزة

الإنسان، (..هو) الصنعة الخارقة للخالق الصانع سبحانه، وهو أرقى معجزةٍ من معجزات قدرته وألطفُها، حيث خلقه الباري مظهراً لجميع تجليات أسمائه

الحسنى، وجعله مداراً لجميع نقوشه البديعة جلّت عظمته، وصيرّه مثالاً مصغراً ونموذجاً للكائنات بأسرها .

الإنسان والإيمان

الإيمان ـ الذي هو عبارة عن الانتساب إلى الصانع سبحانه ـ يقوم بإظهار جميع آثار الصنعة الكامنة في الإنسان، فتتعين بذلك قيمةُ الإنسان على مدى بروز تلك الصنعة الربانية، ولمعان تلك المرآة الصمدانية. فيتحول هذا الإنسان ـ الذي لا أهمية له ـ إلى مرتبة أسمى المخلوقات قاطبة، حيث يصبح أهلاً للخطاب الإلهي، وينال شرفاً يؤهله للضيافة الربانية في الجنة.

الإيمان والدعاء

كما أن الإيمانَ يقتضي (الدعاء) ويتّخذه وسيلةً قاطعةً ووساطةً بين المؤمن وربّه، وكما أن الفطرةَ الإنسانية تتلهف إليه بشدةٍ وشوق، فإن الله سبحانه وتعالى أيضاً يدعو الإنسان إلى الأمر نفسه بقوله: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾ [الفرقان:٧٧]، وبقوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

استجابة الدعاء وقبوله

إن استجابةَ الدعاء شيء، وقبولَه شيء آخر. فكلُّ دعاءٍ مستجابٌ، إلاّ أن قبولَه وتنفيذَ المطلوب نفسه منوطٌ بحكمة الله سبحانه.

ثمرات الدعاء وأوقاته

الدعاء هو ضربٌ من العبودية، وثمار العبادة وفوائدُها أخرويةٌ. أما المقاصدُ الدنيوية فهي ((أوقاتُ)) ذلك النوع من الدعاء والعبادة، وليست غاياتها فمثلاً: صلاةُ الاستسقاء نوعٌ من العبادة، وانقطاع المطر هو وقتُ تلك العبادة. فليست

تلك العبادةُ وذلك الدعاء لأجل نزولِ المطر. فلو أُدّيَتْ تلك العبادةُ لأجل هذه النية وحدَها إذن لكانت غير حريّة بالقبول، حيث لم تكن خالصةً لوجه الله تعالى..

العبودية الخالصة

العبودية لابد أن تكون خالصةً لوجه الله، بأن يأوي الإنسان إلى ربّه بالدعاء مُظهراً عجزَه، مع عدم التدخل في إجراءات ربوبيته، أو الاعتراضِ عليها، وتسليمُ الأمر والتدبير كلّه إليه وحدَه، مع الاعتماد على حكمته من دون اتهامٍ لرحمته ولا القنوطِ منها .

الكائنات : تسبيح ودعاء

لقد ثبت بالآيات البيّنات أن الموجودات في وضعِ تسبيح لله تعالى؛ كلٌ بتسبيحٍ خاصٍ، في عبادة خاصة، في سجود خاص، فتتمخض عن هذه الأوضاع العبادية التي لا تعدّ ولا تحصى سبلُ الدعاء المؤدية إلى كنف ربٍّ عظيم.

الدعاء الفعلي

الأخذُ بالأسباب هو دعاء فعلي، علماً أن اجتماع الأسباب ليس المرادُ منه إيجاد المسّبب. وإنما هو لاتخاذ وضعٍ ملائمٍ ومُرضٍ لله سبحانه لِطَلَب المسّبب منه بلسان الحال

مفتاح خزينة الرحمة

يا أيها الإنسان العاجز الفقير! إياك أن تتخلّى عن مفتاح خزينةِ رحمة واسعة ومصدر قوة متينة، ألا وهو الدعاءُ. فتشبّث به لترتقيَ إلى أعلى عليي الإنسانية، واجعل دعاءَ الكائنات جزءاً من دعائك . ومن نفسك عبداً كلياً ووكيلاً عاماً

بقولك ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. وكن أحسنَ تقويمٍ لهذا الكون .

الإنسان بين منزلتين

إن الإنسان نظراً لكونه مخلوقاً في أحسنِ تقويمٍ وموهوباً بأتمّ استعدادٍ جامع، فإنه يتمكن من أن يدخل في ميدان الامتحان هذا الذي اُبتلي به ضمن مقاماتٍ ومراتبَ ودرجاتٍ ودركات مصفوفة ابتداءً من سجين ((أسفل سافلين)) إلى رياض ((أعلى عليين)) فيسمو أو يتردى، ويرقى أو يهوي ضمن درجاتٍ من الثرى إلى العرش الأعلى، من الذرة إلى المجرّة، إذ قد فُسِحَ المجالُ أمامَه للسلوك في نجدين لا نهاية لهما للصعود والهبوط وهكذا أرسل هذا الإنسان معجزةَ قدرةٍ، ونتيجةَ خلقةٍ، وأعجوبةَ صنعةٍ..

الإنسان والكائنات

إن الإنسان محتاجٌ إلى أكثر أنواع الكائنات وهو ذو علاقة صميمية معها. فلقد انتشرت حاجاتُه في كل طرف من العالم، وامتدت رغباتُه وآمالُه إلى حيث الأبد، فمثلما يطلب أقحوانةً، يطلب أيضاً ربيعاً زاهياً فسيحاً، ومثلما يرغب في مَرجٍ مبهج يرغب أيضاً في الجنة الأبدية، ومثلما يتلهّف لرؤية محبوبٍ له يشتاق أيضاً ويتوق إلى رؤية الجميل ذي الجلال في الجنة، ومثلما أنه محتاجٌ إلى فتح باب غرفة لرؤية صديق حميم قابعٍ فيها، فهو محتاجٌ أيضاً إلى زيارة عالمِ البرزخ الذي يقبعُ فيه تسع وتسعون بالمائة من أحبابه وأقرانه. كما هو محتاج إلى اللواذ بباب القدير المطلق الذي سيغلق بابَ الكون الأوسع ويفتح بابَ الآخرة الزاخرة والمحشورة بالعجائب، والذي سيرفع الدنيا ليضع مكانَها الآخرةَ إنقاذاً لهذا الإنسان المسكينِ من ألمِ الفراق الأبدي .

ثمرات بذرة الإيمان

إذا ربّى الإنسان بذرةَ استعداده وسقاها بماءِ الإسلام، وغذّاها بضياءِ الإيمان تحت تراب العبودية موجهاً أجهزتَها المعنوية نحو غاياتها الحقيقية بامتثال الأوامر القرآنية ، فلابد أنها ستنشقّ عن أوراقٍ وبراعم وأغصانٍ تمتدّ فروعُها وتتفتّح أزاهيرُها في عالم البرزخ وتولّد في عالم الآخرة وفي الجنة نِعَماً وكمالاتٍ لا حد لها. فيصبح الإنسان بذرةً قيّمةً حاوية على أجهزة جامعة لحقيقة دائمة ولشجرة باقية، ويغدو آلةً نفيسة ذات رونق وجمال، وثمرةً مباركة منورة لشجرة الكون.

الرقي الحقيقي

إن السموّ والرقي الحقيقي إنما هو بتوجيه القلب، والسرِ، والروح، والعقل، وحتى الخيال وسائر القوى الممنوحة للإنسان، إلى الحياة الأبدية الباقية، واشتغال كلٍّ منها بما يخصّها ويناسبها من وظائف العبودية .

سقوط أهل الضلالة

ما يتوهمه أهلُ الضلالة من الانغماس في تفاهات الحياة والتلذّذِ بملذاتها الهابطة والانكباب على جزئيات لذاتها الفانية دون الالتفات إلى جمال الكليات ولذائذها الباقية الخالدة مسخّرين القلب والعقل وسائر اللطائف الإنسانية تحت إمرةِ النفس الأمارة بالسوء وتسييرها جميعاً لخدمتها، فإن هذا لا يعني رقياً قط، بل هو سقوطٌ وهبوط وانحطاط .

ضعف الإنسان وعجزه

إن الإنسان من جهة الفعل والعمل وعلى أساس السعي المادي حيوانٌ ضعيفٌ ومخلوق عاجز، دائرة تصرفاته وتملكه في هذه الجهة محدودةٌ وضيقةٌ، فهي على مدّ يده القصيرة، حتى إن الحيوانات الأليفة التي أعطي زمامُها بيد الإنسان قد

تسرّبتْ إليها من ضعف الإنسان وعجزِه وكَسَله حصة كبيرة. فإذا ما قيس مثلاً الغنم والبقر الأهلي بالغنم والبقر الوحشي لظَهر فرقٌ هائلٌ وبونٌ شاسعٌ.

الإنسان ضيف عزيز

إن الإنسان من جهة الانفعال والقبول والدعاء والسؤال ضيفٌ عزيزٌ كريمٌ في دار ضيافة الدنيا، قد استضافه المولى الكريمُ ضيافةً كريمةً حتى فتح له خزائن رحمته الواسعة وسخرّ له خَدَمه ومصنوعاته البديعة غير المحدودة، وهيأ لتنزهه واستجمامه ومنافعه دائرةً عظيمة واسعة جداً، نصفُ قطرها مدُّ البصر بل مدُّ انبساط الخيال.

الإنسان بين حالين

إذا استند الإنسان إلى أنانيته وغروره واتخذ الحياة الدنيا غاية آماله، وكان جهدُه وكدُّه لأجل الحصول على لذاتٍ عاجلةٍ في سعيه وراء معيشته. فسوف يغرق في دائرة ضيقة ويذهب سعيه أدراجَ الرياح، وستشهد عليه يوم الحشر جميعُ الأجهزة والجوارح واللطائف التي أُودعت فيه شاكيةً ضده، ساخطةً ثائرة عليه. أما إذا أدرك أنه ضيفٌ عزيز، وتحرك ضمن دائرة مرضاة مَنْ نَزَل عليه ضيفاً وهو الكريمُ ذو الجلال، وصرَفَ رأسمال عمره ضمن الدائرة المشروعة فسوف يكون نشاطه وعمله ضمن دائرة فسيحة رحبة جداً تمتد إلى الحياة الأبدية الخالدة، وسيعيش سالماً آمناً مطمئناً، ويتنفس تنفس الصعداء ويستروح، وبإمكانِهِ الصعودُ والرقي إلى أعلى عليين. وستشهد له في الآخرة ما منحه الله من الاجهزة والجوارح واللطائف .

أجهزة الإنسان وأجهزة الحيوان

إن الأجهزة التي زُرعت في الإنسان ليست لهذه الحياة الدنيا التافهة، وإنما

أنعم عليه بها لحياةٍ باقية دائمة، لها شأنها وأيُّ شأن. ذلك لأننا إذا قارنّا بين الإنسان والحيوان نرى أن الإنسان أغنى من الحيوان بكثير من حيث الأجهزة والآلات، بمائة مرة، ولكنه من حيث لذّته وتمتّعه بالحياة الدنيا أفقرُ منه بمائة درجة، لأن الإنسان يجد في كل لذةٍ يلتذّ بها ويتذوقها آثارَ آلاف من الآلامِ والمنغّصات. فهناك آلامُ الماضي، وغصصُ الزمن الخالي، ومخاوفُ المستقبل، وأوهامُ الزمان الآتي، وهناك الآلامُ الناتجة من زوال اللذات. كلُّ ذلك يُفسد عليه مزاجَه وأذواقَه ويكدِّر عليه صفوَه ونشوتَه، حيث تترك كلُّ لذةٍ أثراً للألم. بينما الحيوانُ ليس كذلك، فهو يتلذّذُ دون ألمٍ، ويتذوق الأشياء صافيةً دون تكدّرٍ وتعكر، فلا تعذّبه آلامُ الماضي ولا ترهبهُ مخاوفُ المستقبل، فيعيش مرتاحاً ويغفو هانئاً شاكراً خالقَه،حامداً له.

هبوط الإنسان

الإنسان الذي خُلق في (أحسن تقويم) إذا حَصَر فكرَه في الحياة الدنيا وحدَها فسيهبط ويتّضع ويصبح أقل شأناً بمائة درجة من حيوان كالعصفور وإن كان أسمى وأتم من الحيوان من حيث رأسماله بمائة درجة .

تميز حواس الإنسان

إن حواسّ الإنسان ومشاعره قد اكتسبت قوةً ونماءً وانكشافاً وانبساطاً أكثر؛ لما يملك من الفكر والعقل، فقد تبايَن كثيراً مدى استقطاب حواسه،نظراً لتباين وكثرة احتياجاته. لذا تنوعت أحاسيُسه وتعددت مشاعرُه.. ولأنه يملك فطرةً جامعةً فقد أصبح محوراً لآمالٍ ورغباتٍ عدة ومداراً للتوجّه إلى مقاصدَ شتّى.. ونظراً لكثرة وظائفه الفطرية فقد انفرجت أجهزتُه وتوسّعت.. وبسبب فطرته البديعة المهيأة لشتى أنواع العبادة فقد مُنح استعداداً جامعاً لبذور الكمال؛ لذا لا يمكن أن تُمنح له هذه الأجهزة الوفيرة إلى هذه

الدرجة الكثيفة لتحصيل هذه الحياة الدنيوية المؤقتة الفانية فحسب، بل لابد أن الغايةَ القصوى لهذا الإنسان هي أن يفي بوظائفه المتطلعة إلى مقاصدَ لا نهاية لها، وأن يعلن عجزَه وفقره بجنب الله تعالى بعبوديته، وأن يرى بنظره الواسع تسبيحات الموجودات، فيشهد على ذلك ويطّلع على ما تمدّه الرحمة الإلهية من إنعام وآلاء فيشكر الله عليها، وأن يعاين معجزات القدرة الربانية في هذه المصنوعات فيتفكر فيها ويتأمل وينظر إليها نظر العبرة والإعجاب.

طريق التوفيق

إن الإنسان في هذا الكون أشبَه ما يكون بالطفل الضعيف المحبوب يحمل في ضعفِه قوةً كبيرةً وفي عجزه قدرةً عظيمة؛ لأنه بقوة ذلك الضعفِ وقدرةِ ذلك العجز سُخِّرت له هذه الموجوداتُ وانقادت. فإذا ما أدرك الإنسان ضعفَه ودعا ربّه قولاً وحالاً وطوراً، وأدرك عجزَه فاستنجد واستغاث ربّه، وادّى الشكرَ والثناءَ على ذلك التسخير، فسيوفّق إلى مطلوبه وستخضع له مقاصدُه وتتحقق مآربُه وتأتي إليه طائعةً منقادةً مع أنه يعجز عن أن ينال بقدرته الذاتية الجزئية المحدودة بل ولا يتسنّى له عُشر معشار ذلك. إلاّ أنه يحيل خطأً أحياناً ما ناله بدعاء لسان الحال إلى قدرته الذاتية .

جهتان للإنسان

أيها الإنسان! إنك من جهة جسمِك النباتي ونفسِك الحيوانية جزءٌ صغير وجزئيٌ حقيرٌ ومخلوقٌ فقير وحيوانٌ ضعيف تخوض في الأمواج الهادرة لهذه الموجودات المتزاحمة المدهشة. إلاّ أنك من حيث إنسانيتك المتكاملة بالتربية الإسلامية المنوّرة بنور الإيمان المتضمن لضياء المحبة الإلهية سلطانٌ في هذه العبدية.. وأنك كليٌ في جزئيتك.. وأنك عالمٌ واسع في صغرك.. ولك المقامُ السامي مع حقارتك فأنت المشرفُ ذو البصيرة النيرّة على هذه الدائرة الفسيحة المنظورة، حتى يمكنك القول: "إن ربيَ الرحيمَ قد جعلَ لي الدنيا مأوىً ومسكناً،

وجعل لي الشمس والقمر سراجاً ونوراً، وجعل لي الربيعَ باقةَ وردٍ زاهية، وجعلَ لي الصيفَ مائدةَ نعمةٍ، وجعل لي الحيوانَ خادماً ذليلاً، وأخيراً جعل لي النباتَ زينةً وأثاثاً وبهجة لداري ومسكني ".

من الكلمة الرابعة والعشرين

موسيقى الكون

كأن الكون كله موسيقى متناغمة الألحان لذكر عظيم. فامتزاج أصغر نغمة وأوطئها مع أعظم نغمة وأعلاها ينتج لحناً لطيفاً مهيباً..

الحقيقة والحجب

إن الإنسان على الرغم من أن له استعداداً لبلوغ الكمالات كلها ونيل أنوار الأسماء الحسنى جميعها فإنه يتحرى الحقيقة من خلال ألوف الحجب والبرازخ، إذ اقتداره جزئي، واختياره جزئي، واستعداداته مختلفة ورغباته متفاوتة.

مرايا

كما أن الزهرة مرآة صغيرة للشمس، فإن هذه الشمس الضخمة أيضاً هي مرآة كقطرة في بحر السماء تعكس لمعة متجلية من اسم الله (النور). فأدرك يا قلب الإنسان من هذا ما أعظم الشمس التي أنت مرآتها !

الدين امتحان للأرواح

إن الدين امتحان واختبار، يميز الأرواح العالية من الأرواح السافلة، لذا يبحث في الحوادث التي سيشهدها الناس في المستقبل بصيغة ليست مجهولة ومبهمة إلى حد استعصاء فهمها، وليست واضحة وضوح البداهة التي لا مناص من تصديقها. بل يعرضها عرضاً منفتحاً على العقول، لا يعجزها، ولا يسلب منها القدرة على الاختيار. فلو ظهرت علامة من علامات الساعة بوضوح

كوضوح البديهيات، واضطر الناس إلى التصديق، لتساوى عندئذ استعداد فطري كالفحم في خساسته مع استعداد فطري آخر كالألماس في نفاسته، ولضاع سر التكليف وضاعت نتيجة الامتحان سدى.

بين التقليد واليقين

مَن لم يبلغ بالوراثة النبوية المرتبة العظمى لاسمي (القدير) و (المحيي) وأمثالها من الأسماء يرى الحشر الأعظم والقيامة الكبرى ويقبلها تقليداً، قائلاً: إنها ليست مسألة عقلية. لأن حقيقة الحشر والقيامة مظاهر لتجلي الاسم الأعظم والمراتب العظمى لقسم من السماء. فمن لم يرقَ نظره إلى تلك المرتبة يضطر إلى التقليد. بينما مَن نفذ فكرُه إلى هناك يرى الحشر والقيامة سهلة كسهولة تعاقب الليل والنهار والشتاء والصيف، فيرضى بها مطمئن القلب.

إخفاء للابتلاء

يخفي الحكيم العليم في دار الامتحان وميدان الابتلاء هذا، أموراً مهمة جداً بين ثنايا كثرة من الأمور. وترتبط بهذا الإخفاء حكم كثيرة ومصالح شتى فمثلاً: قد أخفى سبحانه وتعالى (ليلة القدر) في شهر رمضان، و (ساعة الإجابة) في يوم الجمعة، و(أولياءه الصالحين) بين مجاميع البشر، و(الأجل) في العمر، و(قيام الساعة) في عمر الدنيا.. وهكذا..

حكمة خفاء الأجل

لو كان أجَلُ الإنسان معيناً ومعلوماً وقته ، لقضى هذا الإنسان المسكين نصف عمره في غفلة تامة ، ونصفه الآخر مرعوباً مدهوشاً كمن يُساق خطوة خطوة نحو حبل المشنقة . بينما تقتضي المحافظة على التوزان المطلوب بين الدنيا والآخرة ومصلحة بقاء الإنسان معلقاً قلبُه بين الرجاء والخوف ، أن

تكون في كل دقيقة تمر بالإنسان إمكان حدوث الموت أو استمرار الحياة.. وعلى هذا يرجح عشرون سنة من عمر مجهول الأجل على ألف سنة من عمر معلوم الأجل.

حكمة خفاء القيامة

قيام الساعة، هو أجَلُ هذه الدنيا، التي هي كإنسان كبير، فلو كان وقته معيناً ومعلناً لمضت القرون الأولى والوسطى سادرة في نوم الغفلة، بينما تظل القرون الأخيرة في رعب ودهشة؛ ذلك لأن الإنسان وطيد العلاقة بحياة مسكنه الأكبر وبلده الأعظم ـ الدنيا ـ بحكم حياته الاجتماعية والإنسانية مثلما يرتبط بمسكنه وبلده بحكم حياته اليومية والشخصية.

الصحابة والسعي للآخرة

الصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ كانوا أكثر الناس تفكراً بالآخرة، وأرسخهم يقيناً بفناء الدنيا، وأوسعهم فقهاً بحكمة إخفاء الله سبحانه لوقت القيامة، وذلك بفضل نور الصحبة النبوية وفيضها عليهم، لذا كانوا منتظرين أجَل الدنيا، متهيئين لموتها كمن ينتظر أجله الشخصي، فسعوا لآخرتهم سعياً حثيثاً.

لكل عصر نصيب من المهدي

إن كل وقت وكل عصر بحاجة إلى (معنى) المهدي الذي يكون أساساً للقوة المعنوية، وخلاصاً من اليأس. فيلزم أن يكون لكل عصر نصيب من هذا المعنى.

الحذر من أئمة الضلال

يجب أن يكون الناس في كل عصر متيقظين وحذرين من شخصيات شريرة تكون على رأس النفاق وتقود تياراً عظيماً من الشر، وذلك لئلا يرتخي عنانُ النفس بالتسيّب وعدم المبالاة.

أوجه الدنيا

إن الدنيا لها وجهان، بل ثلاثة أوجه:

الأول: وجه كالمرآة تعكس تجليات الأسماء الحسنى.

والثاني: وجه ينظر إلى الآخرة، أي أن الدنيا مزرعة الآخرة.

أما الثالث: فهو الوجه الذي ينظر إلى العدم والفناء، فهذا الوجه الأخير هو الدنيا غير المرضية عند الله، وهي المعروفة بدنيا أهل الضلالة.

مقاييس مختلفة

إن شؤون العالم الأبدي لا توزن بمقاييس عالمنا الحاضر، إذ إن أضخم ما عندنا يمكن أن يكون أصغر شيء هناك ولا يوازيه.

مفاتيح الرحمة

إن ترديد ذكر وتسبيح معين، أو تلاوة آية واحدة قد تفتح من أبواب الرحمة والسعادة ما لا تفتحه عبادة ستين سنة، أي أن هناك حالات تمنح فيها آية واحدة من الفوائد ما للقرآن الكريم كله.

آيات متشابهات وأحاديث مشكلات

كما أن في القرآن الكريم آيات متشابهات تحتاج إلى تأويل أو تطلب التسليم المطلق، كذلك في الحديث الشريف مشكلات تحتاج أحياناً إلى تفسير

وتعبير دقيقين .

نظر الإيمان ونظر الفلسفة

إن نظر النبوة والتوحيد والإيمان يرى الحقائق في نور الألوهية والآخرة ووحدة الكون لأنه متوجه إليها. أما العلم التجريبي والفلسفة الحديثة فإنه يرى الأمور من زاوية الأسباب المادية الكثيرة والطبيعة لأنه متوجه إليها. فالمسافة إذن بين زاويتي النظر بعيدة جداً .

تقدم أهل العلم التجريبي وتخلفهم

قد تقدم أهل العلم التجريبي كثيراً في معرفة خواص الموجودات وتفاصيلها وأوصافها الدقيقة في حين تخلفوا كثيراً حتى عن أبسط المؤمنين وأقلهم علماً في مجال العلم الحقيقي وهو العلوم الإلهية السامية والمعارف الأخروية.

زاوية الرؤية وإدراك الحقيقة

إن الرؤية إن كانت من زاويتين مختلفتين، فلاشك من ظهور حقيقتين متباينتين، وقد تكون كلتاهما حقيقة .

الحقيقة العلمية لا تعارض الحقيقة القرآنية

حتماً لا تتعارض حقيقة علمية قاطعة مع حقائق النصوص القرآنية المقدسة، إذ اليد القصيرة للعلم التجريبي قاصرة عن بلوغ أهداب طرفٍ من حقائق القرآن الرفيعة المنزهة.

الأرض بالإنسان صنو للسماوات

الأرض إذن مهدٌ لهذا الإنسان، فهي مع صغرها وحقارتها قياساً إلى السموات عظيمة وجليلة من حيث المعنى والمغزى والإبداع ؛ حتى أصبحت بالمنظور القرآني :

قلب الكون ومركزه من حيث المعنى.. ومعرض جميع المصنوعات المعجزة.. وموضع تجلي الأسماء الحسنى كلها، حتى لكانها البؤرة الجامعة لتلك الأنوار.. ومحشر الأفعال الربانية المطلقة ومرآتها.. وسوق واسع لإبراز الخلاقية الإلهية المطلقة، ولا سيما إيجادها الكثرة الهائلة من النباتات والحيوانات الدقيقة بكل جود وكرم.. ونموذج مصغر لمصنوعات عالم الآخرة الواسع الفسيح.. ومصنع يعمل بسرعة قصوى لإنتاج منسوجات خالدة.. وموضع عرض لنماذج المناظر السرمدية المتبدلة بسرعة فائقة.. ومزرعة ضيقة مؤقتة لاستنبات بُذيرات تربّى بسرعة للبساتين الخالدة الرائعة. لهذا كله يجعل القرآن الكريم الأرض صنواً للسموات ، من حيث عظمتها معنىً وأهميتها صنعةً. وكأنها ثمرة صغيرة لشجرة ضخمة ، وكأنها قلب صغير لجسد ضخم. فيذكرها القرآن الكريم مقرونة بالسماوات، فهي في كفة والسماوات كلها في كفة ، فتكرر الآية الكريمة: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ .

كل شيء يسجد لله

إن القرآن الحكيم يصرح بأن كل شيء من العرش إلى الفرش، ومن المَلَك إلى السمك، ومن المجرات إلى الحشرات، ومن السيارات إلى الذرات.. كل منها يسجد لله، ويعبده، ويحمده ويقدّسه. إلاّ أن عباداتها مختلفة متباينة متنوعة، كلٌ حسب قابلياتها، ومدى نيلها لتجليات الأسماء الحسنى.

الأرواح والروائح

نعم! إن الأرواح الطيبة تحب الروائح الطيبة.

بلابل الوجود

إن لكل نوع من أنواع الموجودات بلبله الخاص به، فهو رئيس حلقة ذكر خاص بهم. بل حتى لنجوم السماء بلبلها الخاص بها، يشدو بأنواره ويترنم بأضوائه.

الخوف والمحبة بين الخالق والمخلوق

لقد أودع الله سبحانه جهازين في فطرة الإنسان، ليكونا وسيلتين للخوف وللمحبة، وتلك المحبة والخوف إما سيتوجهان إلى الخلق أو إلى الخالق. علماً أن الخوف من الخلق بلية أليمة، والمحبة المتوجهة نحوه أيضاً مصيبة منغّصة؛ إذ إنك أيها الإنسان تخاف من لا يرحمك، أو لا يسمع استرحامك. فالخوف إذاً في هذه الحالة بلاء أليم.

أصنام المحبوبات

إن ما تحبه، إما أنه لا يعرفك، فيرحل عنك دون توديع ـ كشبابكَ ومالكَ ـ أو يحقّرك لمحبتك! ألا ترى أن تسعة وتسعين في المئة من العشاق المجازيين يشكون من معشوقيهم، ذلك لأن عشق محبوبات دنيوية شبيهة بالأصنام لحد العبادة بباطن القلب الذي هو مرآة الصمد ثقيل في نظر أولئك المحبوبين، إذ الفطرة تردّ كل ما هو ليس فطريا وأهلا له .

لذة الخوف من الله

إن الخوف من الخالق الجليل يعني وجدان سبيل إلى رأفته ورحمته تعالى للالتجاء إليه. فالخوف بهذا الاعتبار هو سوط تشويقٍ يدفع الإنسان إلى حضن رحمته تعالى. إذ من المعلوم أن الوالدة تخوّف طفلها لتضمّه إلى صدرها. فذلك الخوف لذيذ جداً لذلك الطفل. لأنه يجذب ويدفع الطفل إلى صدر الحنان والعطف. علماً أن شفقة الوالدات كلهن ما هي إلاّ لمعة من لمعات الرحمة الإلهية. بمعنى أن في الخوف من الله لذة عظيمة. فلئن كان للخوف من الله لذة إلى هذا الحد، فكيف بمحبة الله سبحانه، ألا يفهم كم من اللذائذ غير المتناهية فيها.

الحب في الله لا ألم فيه

إن المحبة التي يوليها الإنسان إلى المخلوقات إن كانت في سبيل الله لا تكون مشوبة بألم الفراق.

الحب وجراح القلب

إن الإنسان يحب نفسه أولاً، ثم يحب أقاربه، ثم أمته، ثم الأحياء من المخلوقات، ثم الكائنات، ثم الدنيا، فهو ذو علاقة مع كل دائرة من هذه الدوائر، ويمكن أن يتلذذ بلذائذها ويتألم بآلامها. بينما لا يقر قرار لشيء في هذا العالم الصاخب الذي يموج بالهرج والمرج، وتعصف فيه العواصف المدمّرة، لذا ترى قلب الإنسان المسكين يجرح دائماً.

حب الله لا بديل عنه

إن محبوباً أزلياً أعدّ ـ باسمه الرحمن الرحيم ـ مسكناً جامعاً لجميع رغباتك المادية، وهو الجنّة المزينة بالحور العين، وهيأ بسائر أسمائه الحسنى آلاءه العميمة لإشباع رغبات روحك وقلبك وسرّك وعقلك وبقية لطائفك. بل له سبحانه في كل اسم من أسمائه الحسنى خزائن معنوية لا تنفد من الإحسان والإكرام. فلاشك أن ذرة من محبة ذلك المحبوب الأزلي تكفي بديلاً عن الكائنات كلها ولا يمكن أن تكون الكائنات برمتها بديلاً عن تجلٍ جزئي من تجليات محبته سبحانه.

وظائف العبودية بين النعمة والثواب

يا نفس: إن وظائف العبودية وتكاليفها ليست مقدمة لثواب لاحق، بل هي نتيجة لنعمة سابقة.

نعم؛ نحن قد أخذنا أجرتنا من قبل، وأصبحنا بحسب تلك الأجرة المقدمة لنا مكلفين بالخدمة والعبودية؛ ذلك: لأن الخالق ذا الجلال والإكرام الذي ألبسك — أيتها النفس — الوجود وهو الخير المحض قد أعطاك باسمه (الرزاق) معدة تتذوّقين وتتلذذين بجميع ما فرشه أمامك على مائدة النعمة من مأكولات. ثم إنه وهب لك حياة حساسة، فهي كالمعدة تطلب رزقا لها، فوضع أمام حواسك من عين وأذن ـ وهي كالأيدي ـ مائدة نعمة واسعة سعة سطح الأرض. ثم وهب لك إنسانية تطلب بدورها أرزاقاً معنوية كثيرة، ففتح أمام معدة الإنسانية آفاق الملك والملكوت بمقدار ما يصل إليه العقل.

وبما وهب لك من الإسلام والإيمان الذي هو (الإنسانية الكبرى) والذي يطلب نعماً لا نهاية لها، ويتغذى على ثمار الرحمة التي لا تنفد، فتح لك مائدة النعمة والسعادة واللذة الشاملة للأسماء الحسنى، والصفات الربانية المقدسة، ضمن دائرة الممكنات. ثم أعطاك المحبة التي هي نور من أنوار الإيمان، فأحسن

إليك بمائدة نعمة وسعادة ولذة لا تنتهي أبداً.

تدبر في : " التحيات لله "

العبد العاجز عندما يقول في الصلاة: (التحيات لله) ينوى بها:

إنني أرفع إليك يا إلهي باسمي هدايا العبودية لجميع المخلوقات ـ التي هي حياتها ـ فلو كنت أستطيع أن أقدم التحيات إليك يا ربي بعددهم لما أحجمت ولا ترددت، فإنك أهلٌ لذاك، بل أكثر . فهذه النية الصادقة والاعتقاد الجازم، هي الشكر الكلي الواسع.

فضائل السنة النبوية

يا نفس! إن كنت حقاً تريدين أن تنالي عملاً أخروياً خالداً في عمر قصير؟. وإن كنت حقاً تريدين أن تري فائدة في كل دقيقة من دقائق عمرك كالعمر الطويل؟ .

وإن كنت حقاً تريدين أن تحوّلي العادة إلى عبادة وتبدلي غفلتك إلى طمأنينة وسكينة ، فاتبعي السنّة النبوية الشريفة.. ذلك: لأن تطبيق السنّة والشرع في معاملةٍ ما ، يورث الطمأنينة والسكينة، ويصبح نوعاً من العبادة، بما يثمر من ثمرات أخروية كثيرة.

إن إنجاز الأعمال وفق السنة الشريفة يجعل العمل الفاني القصير مداراً للحياة الأبدية، ذا ثمار خالدة .

فضائل العبادة

إن الإنسان ثمرة شجرة الخلقة، فهو كالثمرة أبعد شيء عن البذرة، وأجمع لخصائص الكل، وله نظر عام إلى الجميع، ويضم جهة وحدة الكل، فهو مخلوق يحمل نواة القلب، ووجهه متوجه إلى الكثرة ـ من المخلوقات ـ وإلى الفناء، وإلى الدنيا، ولكن العبادة التي هي حبل الوصال، أو نقطة اتصال بين المبدأ والمنتهى،

تصرف وجه الإنسان من الفناء إلى البقاء، ومن الخلق إلى الحق، ومن الكثرة إلى الوحدانية، ومن المنتهى إلى المبدأ.

الإنسان بين الربح والخسران

الإنسان الذي تاه في كثرة المخلوقات وغرق في الكائنات، وأخذ حب الدنيا بلبه حتى غره تبسم الفانيات وسقط في أحضانها، لاشك أن هذا الإنسان يخسر خسراناً مبيناً، إذ يقع في الضلال والفناء والعدم، أي يعدم نفسه معنى.

ولكن إذا ما رفع هذا الإنسان رأسه واستمع بقلب شهيد لدروس الإيمان من لسان القرآن، وتوجّه إلى الوحدانية فإنه يستطيع أن يصعد بمعراج العبادة إلى عرش الكمالات والفضائل فيغدو إنساناً باقياً.

من الكلمة الخامسة والعشرين

القرآن الكريم

إن القرآن الكريم، كتاب سماوي يتضمن إجمالاً؛ كتبَ جميع الأنبياء المختلفة عصورهم، ورسائل جميع الأولياء المختلفة مشاربهم، وآثار جميع الأصفياء المختلفة مسالكهم.. جهاتُه الست مُشرقة ساطعة نقية من ظلمات الأوهام، طاهرةٌ من شائبة الشبهات؛ إذ نقطةُ استناده: الوحي السماوي والكلام الأزلي باليقين.. هدفُه وغايتُه: السعادة الأبدية بالمشاهدة.. محتواه: هداية خالصة بالبداهة.. أعلاه: أنوار الإيمان بالضرورة.. أسفله: الدليل والبرهان بعلم اليقين.. يمينُه: تسليم القلب والوجدان بالتجربة.. يساره: تسخير العقل والإذعان بعين اليقين.. ثمرتُه: رحمة الرحمن ودار الجنان بحق اليقين.. مقامُه: قبول المَلَك والإنس والجان بالحدس الصادق.

الإعجاز اليقيني

الإعجاز في بلاغة القرآن يقين كيقين حاصل ضرب الاثنين في اثنين يساوي أربعاً.

نظم القرآن

كما أن عقارب الساعة العادّة للثواني والدقائق والساعات يكمل كل منها نظام الآخر، كذلك النظم في هيئات كل جملة من جمل القرآن، والنظام الذي في كلماته، والانتظام الذي في مناسبة الجمل كل تجاه الآخر .

تميز أساليب القرآن

إن أساليب القرآن الكريم غريبة وبديعة كما هي عجيبة ومقنعة، لم يقلّد أحداً قط ولا يستطيع أحدٌ أن يقلده. فلقد حافظ وما يزال يحافظ على طراوة أساليبه وشبابيته وغرابته مثلما نزل أول مرة.

سورة النبأ

سورة (النبأ) (عمّ يتساءلون..) إلى آخرها، إذا أُنعم النظر فيها فإنها تصف وتثبت أحوال الآخرة والحشر والجنة وجهنم بأسلوب بديع يُطمئِن القلب ويقنعه، حيث تبين أن ما في هذه الدنيا من أفعال إلهية وآثار ربانيةٍ متوجهة إلى كلٍّ من تلك الأحوال الأخروية.

القرآن والشمس

إن القرآن لا يبحث في الشمس لذات الشمس بل لمن نوّرها وجعلها سراجاً، ولا يبحث في ماهيتها التي لا يحتاجها الإنسان، بل في وظيفتها، إذ هي تؤدي وظيفة نابض (زنبرك) لانتظام الصنعة الربانية، ومركز لنظام الخلقة الربانية، ومكّوك لانسجام الصنعة الربانية، في الأشياء التي ينسجها المصوّر الأزلي بخيوط الليل والنهار.

دليل على فصاحة القرآن

إن القرآن كما هو بليغ خارق من حيث أسلوبه وبيان معناه، فهو فصيح في غاية السلاسة في لفظه. والدليل القاطع على فصاحته هو عدم إيراثه السأم والملل. كما أن شهادة علماء فن البيان والمعاني برهان باهر على حكمة فصاحته.

لماذا لا نمل من القرآن

إن القرآن قوتٌ وغذاء للقلوب، وقوة وغناء للعقول، وماء وضياء للأرواح، ودواء وشفاء للنفوس، لذا لا يُمَلّ. مثاله الخبز الذي نأكله يومياً دون أن نملّ، بينما لو تناولنا أطيب فاكهة يومياً لشعرنا بالملل. فإذاً لأن القرآن حق وحقيقة وصدق وهدى وذو فصاحة خارقة فلا يورث الملل والسآمة ، وإنما يحافظ على شبابيته دائماً كما يحافظ على طراوته وحلاوته، حتى إن أحد رؤساء قريش وبلغائها عندما ذهب إلى الرسول الكريم ليسمع القرآن، قال بعد سماعه له : ((والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة .. وما يقوله بشر. ثم قال لقومه: والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني.. ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا)).

دليل على البعث

إن الذي يبعث أجساد الأحياء قاطبة من غير شيء كأنها أفراد جيش ضخم بكمال الانتظام وبميزان الحكمة، ويجمع ذرات تلك الأجساد ولطائفها ويحفظها بأمر ((كن فيكون)) في كل قرن، بل في كل ربيع، على وجه الأرض كافة، ويوجِد مئات الألوف من أمثالها من أنواع ذوي الحياة. إن القدير العليم الذي يفعل هذا هل يمكن أن يستبعد منه جمع الذرات الأساسية والأجزاء الأصلية المتعارفة تحت نظام الجسد كأنها أفراد جيش منظم، بصيحة من صور إسرافيل؟ إن استبعاد هذا من ذلكم القدير العليم لا محالة جنون!

الإرشاد العام للقرآن

إن القرآن المبين يرشد إلى كثير من الحقائق الغامضة ويعلّم الناس إياها بأسلوب سهل وواضح وببيان شافٍ يراعي نظر العوام، من دون إيذاء لشعور العامة ولا إرهاق لفكر العوام ولا إزعاج له، فكما إذا ما حاور إنسان صبياً فإنه يستعمل تعابير خاصة به، كذلك الأساليب القرآنية والتي تسمى بـ ((التنزلات الإلهية إلى عقول البشر)) خطاب ينزل إلى مستوى مدارك المخاطبين، حتى يفهّم أشد العوام أمية، من الحقائق الغامضة والأسرار الربانية ما يعجز حكماء متبحرون عن بلوغها بفكرهم؛ وذلك بالتشبيهات والتمثيلات بصور متشابهات.

من إعجاز القرآن

لما كان القرآن كلاماً لرب العالمين نزل من المرتبة العظمى لربوبيته الجليلة، مهيمناً على جميع المراتب الأخرى، مرشداً البالغين إلى تلك المراتب، مخترقاً سبعين ألف حجاب، ملتفتاً إليها ومنوراً لها، وقد نشر نوره على آلاف الطبقات من المخاطبين المتباينين في الفهم والإدراك، ونثر فيضه طوال عصور وقرون متفاوتة في الاستعدادات. وعلى الرغم من نشره لمعانيه بسهولة تامة في جميع الأنحاء والأزمان، احتفظ بحيويته ونداوته ونضارته ولم يفقد شيئاً منها، بل ظل في منتهى الطراوة والجدة واللطافة سهلاً ممتنعاً، إذ مثلما يلقي دروسه على أي عامي كان في غاية السهولة يلقيه على المختلفين في الفهم والمتباينين في الذكاء لكثير جداً من الطبقات المتفاوتة ويرشدهم إلى الصواب ويورثهم القناعة والاطمئنان

طبقات في الفهم

كما أن لفظة قرآنية مثل: ((الحمد لله)) عندما تُتلى تملأ الكهف الذي هو بمثابة أُذن الجبل، فإنها تملأ في الوقت نفسه ما تشبه الأذين الصغيرة جداً لبعوض فتستقر اللفظة نفسها فيهما معاً. كذلك الأمر في معاني القرآن الكريم. إذ مثلما تُشبع عقولاً جبارة، تعلّم عقولاً صغيرة وبسيطة جداً، وتُطمئنها بالكلمات نفسها، ذلك لأن القرآن يدعو جميع طبقات الجن والإنس إلى الإيمان ويعلّم جميعهم علوم الإيمان ويثبتها لهم جميعاً، لذا يستمع إلى درس القرآن وإرشاده أغبى الأغبياء من عامة الناس مع أخص الخواص جنباً إلى جنب متكاتفين معاً.

مائدة سماوية على مدى الزمان

القرآن الكريم مائدة سماوية تجد فيها آلآف من مختلف طبقات الأفكار والعقول والقلوب والأرواح غذاءهم، كل حسب ما يشتهيه ويلبّي رغباته. حتى إن كثيراً من أبواب القرآن ظلت مغلقة لتفتح في المستقبل من الزمان.

مورد للجميع

إن تلامذة القرآن والمستمعين لإرشاده من المجتهدين والصديقين وحكماء الإسلام والعلماء المحققين وعلماء أصول الفقه والمتكلمين والأولياء العارفين والأقطاب العاشقين والعلماء المدققين وعامة المسلمين.. كلهم يقولون بالاتفاق: نحن نتلقى الإرشاد على أفضل وجه من القرآن.

تعدد الدلالات

إن الألفاظ القرآنية قد وُضعت وضعاً بحيث: إن لكل كلام بل لكل كلمة بل لكل حرف بل حتى لسكون أحياناً وجوهاً كثيرة جداً، تمنح كل مخاطب حظّه ونصيبه من أبواب مختلفة، كما يشير إلى ذلك الحديث الشريف، فلكل آية ظهرٌ وبطن وحدّ ومطّلع، ولكلٍ شجون وغصون وفنون .

آفاق قصة موسى عليه السلام

قصة موسى عليه السلام من القصص القرآنية، فيها من العبر والدروس بقدر ما في عصا موسى عليه السلام من الفوائد؛ إذ فيها تطمين للرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له، وتهديد للكفار، وتقبيح للمنافقين، وتوبيخ لليهود وما شابهها من المقاصد. فلها إذاً وجوه كثيرة جداً. لذا كررت في سور عدة. فمع أنها تفيد جميع المقاصد في كل موضع إلاّ أن مقصداً منها هو المقصود بالذات، وتبقى المقاصد الأخرى تابعة له.

خطاب للعصور والأفهام

ما دام القرآن الكريم خطاباً أزلياً، يخاطب به الله سبحانه وتعالى مختلف طبقات البشرية المصطفة خلف العصور ويرشدهم جميعاً، فلابد أنه يدرج معاني عدة لتلائم مختلف الأفهام، وسيضع أمارات على إرادته هذه.

أسس الفهم

إن جميع الوجوه والمعاني التي هي صحيحة حسب علوم العربية، وصائبة وفق أصول الدين، ومقبولة في فن المعاني، ولائقة في علم البيان ومستحسنة في علم البلاغة، هي من معاني القرآن الكريم، بإجماع المجتهدين والمفسرين وعلماء أصول الدين وأصول الفقه وبشهادة اختلاف وجهات نظرهم. وقد وضع القرآن الكريم أمارات على كل من تلك المعاني حسب درجاتها .

خزينة القرآن

إن القرآن الكريم قد أفاض من خزينة معانيه الجليلة مصادرَ جميع المجتهدين، ومذاقَ جميع العارفين، ومشاربَ جميع الواصلين ومسالكَ جميع الكاملين، ومذاهبَ جميع المحققين فضلاً عن أنه صار دليلَهم في كل وقتٍ ومرشدَهم في رقيهم كل حين ناشراً على طرقهم أنواره الساطعة من خزينته التي لا تنضب، كما هو مصدّق ومتفق عليه بينهم.

تأثير القرآن

إن البيانات القرآنية مؤثرة ورفيعة ومؤنسة ورقيقة حتى إنها تملأ الروح شوقاً والعقل لهفة والعين دمعاً.

الشمول العجيب للقرآن

نعم، إن القرآن قد جمع المباحث الكلية لما يخص الإنسان ووظيفته، والكون وخالقه والأرض والسموات والدنيا والآخرة والماضي والمستقبل والأزل والأبد فضلاً عن ضمه مباحث مهمة أساسية ابتداءً من خلق الإنسان من النطفة إلى دخوله القبر، ومن آداب الأكل والنوم إلى مباحث القضاء والقدر، ومن خلق العالم في ستة أيام إلى وظائف هبوب الريح التي يشير إليها القَسَم في والمرسلات والذاريات ومن مداخلته سبحانه في قلب الإنسان وإرادته بإشارات الآيات الكريمة ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩] ، ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]

إلى ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٦٧] ، ومن ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ [يس: ٣٤] إلى الحقيقة العجيبة التي تعبّر عنها الآية ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]، ومن حالة السماء ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فُصِّلَت: ١١] إلى انشقاق السماء وانكدار النجوم وانتشارها في الفضاء الذي لا يحد، ومن انفتاح الدنيا للامتحان إلى انتهاء الاختبار، ومن القبر الذي هو أول منزل من منازل الآخرة والبرزخ والحشر والصراط إلى الجنة والسعادة الأبدية، ومن وقائع الزمان الماضي الغابر من خلق آدم عليه السلام وصراع ابنَيْهِ إلى الطوفان، إلى هلاك قوم فرعون وحوادث جليلة لأغلب الأنبياء عليهم السلام، ومن الحادثة الأزلية في ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] إلى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] التي تفيد الأبدية.

دلالة القرآن على الله

القرآن الكريم كذلك كلام مبين يليق بمن خلق هذا الكون ويديره وكتب صحيفة أعماله وفهارس برامجه ـ إن جاز التعبير ـ وأظهرها. فلا يُشاهَد فيه اثرٌ من تصَنّع وتكلّف بأي جهة كانت كما لا أمارة قطعاً لشائبة تقليد أي كلامٍ عن أحد وفرض نفسه في موضع غير موضعه وأمثالها من الخدع. فهو بكل جديته، وبكل صفائه، وبكل خلوصه صافٍ براق ساطع زاهر، إذ مثلما يقول ضوء الشمس: أنا منبعث من الشمس فالقرآن كذلك يقول: أنا كلام رب العالمين وبيانه.

لا يليق القرآن لغير الله

إن الذي جمّل هذه الدنيا وزينها بصنائعه الثمينة وملأها بأطايب نعمه الشهية ونشر في وجه الأرض بدائع مخلوقاته ونعمه القيمة بكل إبداع وإحسان وتنسيق وتنظيم ذلكم الصانع الجليل والمنعم المحسن، مَن غيرُهُ يليق أن يكون صاحب هذا البيان، بيان القرآن الكريم الذي ملأ الدنيا بالتقدير والتعظيم والاستحسان والإعجاب والحمد والشكر حتى جعل الأرض رباط ذكر وتهليل ، ومسجداً يرفع فيه اسم الله ومعرضاً لبدائع الصنعة الإلهية؟ ومَن يكون غيرُه صاحب هذا الكلام؟ ومَن يمكنه أن يدّعى أن يكون صاحبه؟ فهل يليق للضياء الذي ملأ الدنيا نوراً أن يعود لغير الشمس؟ وبيان القرآن الذي كشف لغز العالم ونوّره، نور مَن يكون غير نور من خلق السموات والأرض؟ فمن يجرؤ أن يقلّده ويأتي بنظيرٍ له؟.

لا يليق القرآن لغير الله

حقاً، إن الصانع الذي زيّن بإبداع صنعته هذه الدنيا، محال ألاّ يتكلم مع هذا الإنسان المبهور بصُنعهِ وإبداعه، فما دام أنه يفعل ويعلم فلا بد أنه يتكلم، وما دام أنه يتكلّم فلا يليق بكلامه إلاّ القرآن. فمالك الملك الذي يهتم بتنظيم زهرة صغيرة كيف لا يبالي بكلام حوّل مُلكه إلى جذبة ذكر وتهليل؟ أيمكن أن يُنزّل من قدر هذا الكلام بنسبته إلى غيره؟ .

من عجائب الإيجاز

إن لأسلوب القرآن جامعية عجيبة، حتى إن سورة واحدة تتضمن بحر القرآن العظيم الذي ضم الكون بين جوانحه، وإن آية واحدة تضم خزينة تلك السورة. وإن أكثر الآيات ـ كل منها ـ كسورة صغيرة، وأكثر السور ـ كل منها ـ كقرآن صغير. فمن هذا الإيجاز المعجز ينشأ لطف عظيم للإرشاد وتسهيل واسع جميل. لأن كل إنسان على الرغم من حاجته إلى تلاوة القرآن كل وقت، فإنه قد لا يتاح له تلاوته، إما لغباوته وقصور فهمه أو لأسباب أخرى. فلكي لا يُحرم أحدٌ من القرآن فإن كل سورة في حكم قرآن صغير، بل كل آية طويلة في مقام سورة قصيرة، حتى إن أهل الكشف متفقون أن القرآن في الفاتحة والفاتحة في البسملة.أما البرهان على هذا فهو إجماع أهل التحقيق العلماء.

خذ ما شئت لما شئت

إن الآيات القرآنية جامعة بدلالاتها وإشاراتها لأنواع الكلام والمعارف الحقيقية والحاجات البشرية كالأمر والنهي، والوعد والوعيد، الترغيب والترهيب، الزجر والإرشاد، القصص والأمثال، الأحكام والمعارف الإلهية، العلوم الكونية، وقوانين وشرائط الحياة الشخصية والحياة الاجتماعية والحياة القلبية والحياة المعنوية والحياة الأخروية. حتى يصدق عليه المَثَل السائر بين أهل

الحقيقة: (خذ ما شئت لما شئت) بمعنى أن الآيات القرآنية فيها من الجامعية ما يمكن أن يكون دواء لكل داء وغذاء لكل حاجة.

الإيجاز المعجز

إن إيجاز القرآن جامع ومعجز، فلو أنعم النظر فيه لشوهد بوضوح أن القرآن قد بيّن في مثالٍ جزئي وفي حادثة خاصة، دساتيرَ كلية واسعة وقوانينَ عامة طويلة، وكأنه يبين في غرفة ماءٍ بحراً واسعاً.

شمول القرآن وسلامته

إن القرآن المعجز البيان قد جمع أنواع البلاغة، وجميع أقسام فضائل الكلام، وجميع أصناف الأساليب العالية وجميع أفراد محاسن الأخلاق، وجميع خلاصات العلوم الكونية، وجميع فهارس المعارف الإلهية، وجميع الدساتير النافعة للحياة البشرية الشخصية والاجتماعية، وجميع القوانين النورانية السامية لحكمة الكون.. وعلى الرغم من جمعه هذا لا يظهر عليه أي اثر كان من آثار الخلط وعدم الاستقامة في التركيب أو المعنى.

من دلائل النبوة

إن القرآن الحكيم، بلسان أمي أمين بالاتفاق يذكر أخباراً من لدن آدم عليه السلام إلى خير القرون، مع ذكره أهم أحوال الأنبياء عليهم السلام وأحداثهم المهمة، يذكرها ذكراً في منتهى القوة وغاية الجد، وبتصديق من الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل فيوافق ما اتفقت عليه تلك الكتب السابقة ويصحح حقيقة الواقعة ويفصِل في تلك المباحث التي اختلفت فيها .

الإخبار عن الغيب دليل نبوة

الإخبار عن الغيب دون تردد وبكمال الجد والاطمئنان وبما يُشعر بقوة الوثوق، على لسان مَن هو معرّض لاعتراضات المعترضين وانتقاداتهم، وربما يفقد دعواه لخطأ طفيف، يدل دلالة قاطعة: أنه يتلقى الدرس من أستاذه الأزلي ثم يقوله للناس.

الحقائق الإلهية والإعجاز

إن بيانات القرآن التي تخص الحقائق الإلهية، وبياناته الكونية التي فتحت طلسم الكون وكشفت عن معمّى خلق العالم لهي أعظم البيانات الغيبية، لأنه ليس من شأن العقل قط، ولا يمكنه أن يسلك سلوكاً مستقيماً بين ما لا يحد من طرق الضلالة، فيجد تلك الحقائق الغيبية. وكما هو معلوم فإن أعظم دهاة حكماء البشر لم يصلوا إلى أصغر تلك الحقائق وأبسطها بعقولهم. ثم إن عقول البشر ستقول بلا شك أمام تلك الحقائق الإلهية والحقائق الكونية التي أظهرها القرآن الكريم: صدقتَ، وستقبل تلك الحقائق بعد استماعها إلى بيان القرآن بصفاء القلب وتزكية النفس، وبعد رقي الروح واكتمال العقل، وستباركه.

شبابية القرآن

إن القرآن الكريم لأنه خطاب أزلي يخاطب جميع طبقات البشر في جميع العصور خطاباً مباشراً يلزم أن تكون له شبابية دائمة كهذه. فلقد ظهر شاباً وهو كذلك كما كان. حتى إنه ينظر إلى كل عصر من العصور المختلفة في الأفكار والمتباينة في الطبائع نظراً كأنه خاص بذلك العصر ووفق مقتضياته ملقناً دروسه ملفتاً اليها الأنظار.

أحكام القرآن وقوانين البشر

إن آثار البشر وقوانينه تشيب وتهرم مثله ، وتتغير وتُبدّل . إلاّ أن أحكام القرآن وقوانينه لها من الثبات والرسوخ بحيث تظهر متانتها أكثر كلما مرّت العصور.

عصرنا وخطاب القرآن

إن هذا العصر الذي اغترّ بنفسه وأصمّ أذنيه عن سماع القرآن أكثر من أي عصر مضى، وأهل الكتاب منهم خاصة، أحوج ما يكونون إلى إرشاد القرآن الذي يخاطبهم بـ (يا أهل الكتاب.. يا أهل الكتاب) حتى كأن ذلك الخطاب موجّه إلى هذا العصر بالذات إذ إن لفظ (أهل الكتاب) يتضمن معنى: أهل الثقافة الحديثة أيضاً!

طريق السعادة

إن شأن (الحق) هو (الاتفاق).. وشأن (الفضيلة) هو (التساند).. وشأن (التعاون) هو (إغاثة كل للآخر).. وشأن (الدين) هو (الأخوة والتكاتف).. وشأن (إلجام النفس وكبح جماحها وإطلاق الروح وحثها نحو الكمال) هو (سعادة الدارين).

خلود القرآن

إن دساتير القرآن الكريم وقوانينه لأنها آتية من الأزل فهي باقية وماضية إلى الأبد. لا تهرم أبداً ولا يصيبها الموت، كما تهرم القوانين المدنية وتموت، بل هي شابة وقوية دائماً في كل زمان.

سبب اضطراب المجتمعات

إن أس أساس جميع الاضطرابات والثورات في المجتمع الإنساني إنما هو كلمة واحدة، كما أن منبع جميع الأخلاق الرذيلة كلمة واحدة أيضاً. كما أُثبت ذلك في (إشارات الإعجاز).

الكلمة الأولى: (إن شبعتُ، فلا عليّ أن يموت غيري من الجوع).

الكلمة الثانية: (اكتسبْ أنتَ، لآكل أنا، واتعبْ أنت لأستريح أنا).

التوازن أساس السعادة

إنه لا يمكن العيش بسلام ووئام في مجتمع إلاّ بالمحافظة على التوزان القائم بين الخواص والعوام، أي بين الأغنياء والفقراء، وأساس هذا التوزان هو رحمة الخواص وشفقتهم على العوام ، وإطاعة العوام واحترامهم للخواص.

الصور بين القرآن والمدنية الحديثة

إن القرآن الكريم مثلما يمنع بشدة عبادة الأصنام يمنع كذلك اتخاذ الصور التي هي شبيهة بنوع من اتخاذ الأصنام. أما المدنية الحاضرة فإنها تعدّ الصور من مزاياها وفضائلها وتحاول أن تعارض القرآن. والحال أن الصور أياً كانت، ظلية أو غيرها، فهي: إما ظلم متحجر، أو رياء متجسد، أو هوى متجسم، حيث تهيج الأهواء وتدفع الإنسان إلى الظلم والرياء والهوى.

نظر الشهوة

كما أن النظر بدافع الهوى وبشهوة إلى جنازة امرأة حسناء تنتظر الرحمة وترجوها يهدم الأخلاق ويحطها، كذلك النظر بشهوة إلى صور نساء ميتات أو إلى صور نساء حيات - وهي في حكم جنائز مصغرة لهن - يزعزع مشاعر الإنسان ويعبث بها، ويهدمها.

النظر بنور القرآن

من كان ذا قلبٍ غير سقيم، وعقل مستقيم، ووجدان غير مريض، وذوق سليم، يرى في بيان القرآن سلاسة جميلة وتناسقاً لطيفاً ونغمة لذيذة وفصاحة فريدة. فمن كانت له عين سليمة في بصيرته، فلا ريب أنه يرى في القرآن عيناً ترى كل الكائنات ظاهراً وباطناً بوضوح تام كأنها صحيفة واحدة، يقلّبها كيف يشاء، فيعرّف معانيها على ما يشاء من أسلوب.

آثار الأسماء الإلهية

إن القرآن الكريم ـ ببياناته المعجزة ـ يبسط أفعال الصانع الجليل ويفرش آثاره أمام النظر، ثم يستخرج من تلك الأفعال والآثار، الأسماء الإلهية، أو يثبت مقصداً من مقاصد القرآن الأساسية كالحشر والتوحيد.

إعجاز ختام الآيات

إن في الخلاصات والفذلكات التي في ختام الآيات لمعات إعجازية كثيرة فضلاً عما تترشح منها من رشحات الهداية الغزيرة، حتى بلغ بدهاة البلغاء أنهم لم يتمالكوا أنفسهم من الحيرة والإعجاب أمام هذه الأساليب البديعة فقالوا: ما هذا كلام البشر، وآمنوا بحق اليقين بقوله تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٤].

آيات القرآن وكلام البشر

إن نسبة سائر الكلام إلى آيات القرآن، كنسبة صور النجوم المتناهية في الصغر التي تتراءى في المرايا، إلى النجوم نفسها . نعم! أين كلمات القرآن التي كل منها تصوّر الحقائق الثابتة وتبينها؟ وأين المعاني التي يرسمها البشر بكلماته على مرايا صغيرة لفكره ومشاعره؟

بين الملائكة والحشرات السامة

نعم! كم هي النسبة بين الحشرات السامة والملائكة الأطهار والروحانيين المنوّرين؟ إنها هي النسبة نفسها بين كلمات البشر وكلمات القرآن الكريم.

القرآن شجرة طوبى

نعم! إن القرآن يمثل شجرة طوبى طيبة نشرت أغصانها في جميع أرجاء العالم الإسلامي، فأورقت جميع معنوياته وشعائره وكمالاته ودساتيره وأحكامه، وأبرزت أولياءه وأصفياءه كزهور نضرة جميلة تستمد حسنها ونداوتها من ماء حياة تلك الشجرة، وأثمرت جميعَ الكمالات والحقائق الكونية والإلهية حتى غدت كل نواة من نوى ثمارها دستور عمل ومنهج حياة.. نعم أين هذه الحقائق المتسلسلة التي يطالعنا بها القرآن بمثابة شجرة مثمرة وارفة الظلال وأين منها كلام البشر المعهود. أين الثرى من الثريا؟

القرآن حقائق قيمة وجمال دائم

إن القرآن الحكيم ينشر جميع حقائقه في سوق الكون ويعرضها على الملأ أجمعين منذ أكثر من ألف وثلاث مائة سنة وإن كل فرد وكل أمة وكل بلد قد أخذ من جواهره ومن حقائقه، وما زال يأخذ.. على الرغم من هذا فلم تخل تلك الألفة، ولا تلك الوفرة، ولا مرور الزمان، ولا التحولات الهائلة، بحقائقه القيمة ولا بأسلوبه الجميل، ولم تشيّبه ولم تتمكن من أن تفقِدهُ طراوته أو تسقط من قيمته أو تطفئ سنا جماله وحسنه.

طريقة لتذوق إعجاز القرآن

إذا شئت أن تشاهد وتتذوق كيف تنشر كلُ آية من القرآن الكريم نورَ إعجازها وهدايتها وتبدّد ظلمات الكفر كالنجم الثاقب؛ تصوّر نفسَك في ذلك العصر الجاهلي وفي صحراء تلك البداوة والجهل. فبينا تجد كل شيء قد

أسدل عليه ستار الغفلة وغشيه ظلام الجهل ولفّ بغلاف الجمود والطبيعة، إذا بك تشاهد وقد دبّت الحياة في تلك الموجودات الهامدة أو الميتة في أذهان السامعين فتنهض مسبّحةً ذاكرةً الله بصدى قوله تعالى:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾ [الجمعة: ١].

نعم! إنك إذا نظرت إلى الآيات الكريمة من خلال وضعك الحاضر الذي استنار بنور القرآن منذ ذلك العصر حتى غدا متعارفاً، وإضاءته سائر العلوم الإسلامية، حتى وضحت بشمس القرآن. أي إذا نظرت إلى الآيات من خلال ستار الأُلفة، فإنك بلا شك لا ترى رؤية حقيقية مدى الجمال المعجز في كل آية، وكيف أنها تبدد الظلمات الدامسة بنورها الوهاج. ومن بعد ذلك لا تتذوق وجه إعجاز القرآن من بين وجوهه الكثيرة.

القرآن كنز الحقائق

القرآن الكريم الذي هو بحر الحقائق، آياته الجليلة غوّاصة كذلك في البحر تكشف عن الكنز، إلاّ أن عيونها مفتحة بصيرة تحيط بالكنز كله، وتبصر كل ما فيه، لذا يصف القرآن الكريم بأياته الجليلة ذلك الكنز العظيم وصفاً متوازناً يلائمه وينسجم معه فيظهر حُسنه الحقيقي وجماله الأخاذ.

إعجاز القرآن في تناسب الحقائق

القرآن يرى جميع الدساتير التي تحقق سعادة الدارين ويبيّنها مع بيانه كل ركن من أركان الإيمان الستة بالتفصيل، وكل ركن من أركان الإسلام الخمسة بقصدٍ وجدّ محافظاً على الموازنة فيما بينها جميعاً مديماً تناسبها، فينشأ من منبع الجمال والحسن البديع الحاصل من تناسب مجموع تلك الحقائق وتوازنها إعجازٌ معنوي رائع للقرآن.

من أسباب الضلال

إن جميع أئمة الفرق الضالة الذين توغلوا في بواطن الأمور واعتمدوا على مشهوداتهم من دون اتباع السنة النبوية، فرجعوا من أثناء الطريق، وترأسوا جماعة وشكلوا لهم فرقةً ضالة.. هؤلاء قد زلّوا إلى مثل هذه البدع والضلالة وساقوا البشرية إلى مثل هذه السبل الضالة لأنهم لم يستطيعوا أن يحافظوا على تناسق الحقائق وموازنتها.

رسائل النور تفسير للقرآن

إن هذه الرسائل البالغة مائة وثلاثين رسالة هي بذاتها تفسير قيّم للآيات الفرقانية، إذ إنها تكشف عن نكاتها الدقيقة وأنوارها الزاهية.

شخصية الرسول دليل على ربانية القرآن

مثلما أن القرآن الكريم بكل معجزاته وحقائقه الدالة على أحقيته هو معجزة لمحمد عليه الصلاة والسلام، فإن محمداً عليه الصلاة والسلام بكل معجزاته ودلائل نبوته وكمالاته العلمية معجزة أيضاً للقرآن الكريم وحجة قاطعة على أن القرآن الكريم كلام الله رب العالمين.

الإعجاز العملي للقرآن

إن القرآن الكريم قد بدّل الحياة الاجتماعية تبديلاً هائلاً نوّر الآفاق وملأها بالسعادة والحقائق، وأحدث انقلاباً عظيماً سواء في نفوس البشر وفي قلوبهم، أو في أرواحهم وفي عقولهم، أو في حياتهم الشخصية والاجتماعية والسياسية، وأدام هذا الانقلاب وأداره، بحيث إن آياته البالغة ستة آلاف وستمائة وستاً وستين آية تتُلى منذ أربعة عشر قرناً في كل آن بألسنة أكثر من مائة مليون شخص في الأقل بكل إجلال واحترام، فيربي الناس ويزكي نفوسهم، ويصفي

قلوبهم، ويمنح الأرواح انكشافاً ورقياً، والعقول استقامة ونوراً، والحياة حياةً وسعادةً. فلا شك أنه لا نظير لمثل هذا الكتاب ولا شبيه له ولا مثيل. فهو خارق، وهو معجز.

المسجد الكوني

إن هذا الكون هو بحكم مسجد كبير ، وإن جميع المخلوقات ـ ولا سيما السماوات والأرض ـ منهمكة في ذكر وتهليل وتسبيح ينبض بالحيوية. وقد تسنم الكل وظائفهم بكل شوق ونشوة وهم ينجزونها بكل سعادة وامتنان .

القرآن يحلو مع التكرار

إن القرآن الكريم قد أظهر عذوبة وحلاوة ذات أصالة وحقيقة بحيث إن التكرار الكثير ـ المسبب للسآمة حتى من أطيب الأشياء ـ لا يورث الملال عند من لم يفسد قلبه ويبلد ذوقه، بل يزيد تكرار تلاوته من عذوبته وحلاوته، وهذا أمر مسلّم به عند الجميع منذ ذلك العصر، حتى غدا مضرب الأمثال.

قيمة الكلام

نعم إن قيمة الكلام وعلوه وبلاغته تتوضح في بيان: من قاله؟ ولمن قاله؟ ولِمَ قاله؟

تفرد القرآن الكريم

إن القرآن الكريم لم يأت ولن يأتي مثله ولن يدانيه شيء قط؛ ذلك لأن القرآن الكريم إنما هو خطاب من رب العوالم جميعاً وكلام من خالقها، وهو مكالمة لا يمكن تقليدها ـ بأي جانب كان من الجوانب ـ وليس فيه أمارة تومئ بالتصنع.

من خصائص القرآن

إن خطاب القرآن الكريم قد اكتسب الصفة الكلية والسعة المطلقة والرفعة السامية والإحاطة الشاملة؛ لصدوره مباشرة من المقام الواسع المطلق للربوبية العامة الشاملة للمتكلم الأزلي سبحانه.. ويكتسبها من المقام الواسع العظيم لمن أُنزل عليه هذا الكتاب، ذلكم النبي الكريم صلى الله عليه وسلم الممثل للنوع البشري والمخاطب باسم الإنسانية قاطبة، بل باسم الكائنات جميعاً.. ويكتسبها أيضاً من توجه الخطاب إلى المقام الواسع الفسيح لطبقات البشرية كافة وللعصور كافة.. ويكتسبها أيضاً من المقام الرفيع المحيط النابع من البيان الشافي لقوانين الله سبحانه المتعلقة بالدنيا والآخرة، بالأرض والسماء، بالأزل والأبد، تلك القوانين التي تخص ربوبيته وتشمل أمور المخلوقات كافة.

القرآن الكريم والأزمنة الغابرة

إن هذا القرآن العظيم يرشد كل طبقة من كل عصر إرشاداً واضحاً بإعجاز رائع مبيناً: أن (الأزمنة الغابرة) والعصور المندثرة التي هي في نظر الغافلين الضالين واد من عدم سحيق موحش رهيب، ومقبرة مندرسة أليمة كئيبة، يعرضها صحيفة حية تطفح عبراً ودروساً، وعالماً عجيباً ينبض بالحياة ويتدفق بالحيوية من أقصاه إلى أقصاه، ومملكة ربانية ترتبط معنا بوشائج وأواصر فيبينها -بإعجازه البديع - واضحة جليلة كأنها مشهودة تعرض أمامنا على شاشة، فتارة يأتي بتلك العصور ماثلة شاخصة أمامنا، وتارة يأخذنا إلى تلك العصور.

من إعجاز التكرار

إن القرآن الكريم يظهر نوعاً من إعجازه البديع أيضاً في (تكراره البليغ) لجملة واحدة، أو لقصة واحدة، وذلك عند إرشاده طبقات متباينة من المخاطبين إلى معان عدة، وعبر كثيرة في تلك الآية أو القصة، فاقتضى التكرار حيث إنه: كتاب دعاء ودعوة كما أنه كتاب ذكر وتوحيد، وكل من هذا يقتضي التكرار، فكل ما كرر في القرآن الكريم إذاً من آية أو قصة إنما تشتمل على معنى جديد وعبرة جديدة.

من فوائد التكرار

إن تكرر الحاجة يستلزم التكرار، هذه قاعدة ثابتة، لذا فقد أجاب القرآن الكريم عن أسئلة مكررة كثيرة خلال عشرين سنة فارشد بإجاباته المكررة طبقات كثيرة متباينة من المخاطبين. فهو يكرر جملاً تملك ألوف النتائج، ويكرر إرشادات هي نتيجة لأدلة لا حد لها، وذلك عند ترسيخه في الأذهان وتقريره في القلوب ما سيحدث من انقلاب عظيم وتبدل رهيب في العالم وما سيصيبه من دمار وتفتت الأجزاء، وما سيعقبه من بناء الآخرة الخالدة الرائعة بدلا من هذا العالم الفاني.

تكرار البسملة

إن جملة (بِسْمِ اللهِ الرّحْمنِ الرّحيمِ) هي آية واحدة تتكرر مائة وأربع عشرة مرة في القرآن الكريم ذلك لأنها حقيقة كبرى تملأ الكون نوراً وضياء وتشد الفرش بالعرش برباط وثيق - كما بيناها في اللمعة الرابعة عشرة - فما من أحد إلاّ وهو بحاجة مسيسة إلى هذه الحقيقة في كل حين، فلو تكررت هذه الحقيقة العظمى ملايين المرات، فالحاجة ما زالت قائمة باقية لا ترتوي. إذ ليست هي حاجة يومية كالخبز، بل هي أيضاً كالهواء والضياء الذي يُضطر إليه ويشتاق كل دقيقة.

شمول القرآن الكريم

إن القرآن: كتاب شريعة وأحكام وحكمة، كما هو كتاب عقيدة وإيمان، وهو كتاب ذكر وفكر، كما هو كتاب دعاء ودعوة.

مقاصد القرآن في السور الطويلة والمتوسطة

إن أغلب السور المطولة والمتوسطة ـ التي كل منها كأنها قرآن على حدة ـ لا تكتفي بمقصدين أو ثلاثة من مقاصد القرآن الأربعة (وهي: التوحيد، النبوة، الحشر، العدل مع العبودية) بل كل منها يتضمن ماهية القرآن كلها، والمقاصد الأربعة معاً، أي كل منها: كتاب ذكر وإيمان وفكر، كما أنه كتاب شريعة وحكمة وهداية. فكل سورة من تلك السُوَر تتضمن كُتباً عدة، وترشد إلى دروس مختلفة متنوعة. فتجد أن كل مقام ـ بل حتى الصحيفة الواحدة ـ يفتح أمام الإنسان أبواباً للإيمان يحقق بها إقرار مقاصد أخرى حيث إن القرآن يذكر ما هو مسطور في كتاب الكون الكبير ويبينه بوضوح، فيرسخ في أعماق المؤمن إحاطة ربوبيته سبحانه بكل شيء، ويريه تجلياتها المهيبة في الآفاق والأنفس.

تنبيه وإرشاد وإزالة

إن القرآن الكريم ينبه الإنسان إلى أعظم انقلاب يحدث ضمن المخلوقات ودائرة الممكنات في تأريخ العالم.. وهو الآخرة. ويرشده إلى أعظم مسألة تخصه وهو الحامل للأمانة الكبرى وخلافة الأرض.. تلك هي مسألة التوحيد الذي تدور عليه سعادته وشقاوته الأبديتان. وفي الوقت نفسه يزيل القرآن سيل الشبهات الواردة دون انقطاع، ويحطم أشد أنواع الجحود والإنكار المقيت.

قرآن مصغر

إن كثيراً من الناس لا يستطيعون كل حين ولا يوفقون إلى تلاوة القرآن الكريم كله، بل يكتفون بما يتيسر لهم منه. ومن هنا تبدو الحكمة واضحة في جعل كل سورة مطولة ومتوسطة بمثابة قرآن مصغر، ومن ثم تكرار القصص فيها بمثل تكرار أركان الإيمان الضرورية. أي أن تكرار هذه القصص هو مقتضى البلاغة وليس فيه إسراف قط. زد على ذلك فإن فيه تعليماً بأن حادثة ظهور محمد ، صلى الله عليه وسلم ،أعظم حادثة للبشرية وأجلّ مسألة من مسائل الكون.

منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم

إن منح ذات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أعظم مقام وأسماه في القرآن الكريم، وجعل (محمد رسول الله) - الذي يتضمن أربعة من أركان الإيمان - مقروناً بـ (لا إله إلاّ الله) دليل وأي دليل على أن الرسالة المحمدية هي أكبر حقيقة في الكون، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم لهو أشرف المخلوقات طراً. وأن الحقيقة المحمدية التي تمثل الشخصية المعنوية الكلية لمحمد صلى الله عليه وسلم هي السراج المنير للعالمين كليهما، وأنه صلى الله عليه وسلم أهل لهذا المقام الخارق.

في الميزان النبوي

إن كل ما قام به جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم من حسنات في الأزمنة قاطبة يكتب مثلها في صحيفة حسناته صلى الله عليه وسلم، وذلك حسب قاعدة ((السبب كالفاعل)).

وإن تنويره لجميع حقائق الكائنات بالنور الذي أتى به لا يجعل الجن والإنس والملائكة وذوي الحياة في امتنان ورضى وحدهم بل يجعل الكون برمته والسماوات والأرض جميعاً راضية عنه محدثة بفضائله.

وإن ما يبعثه صالحو الأمة - الذين يبلغون الملايين - يومياً من أدعية فطرية مستجابة لا ترد - بدلالة القبول الفعلي المشاهد لأدعية النباتات بلسان الاستعداد، وأدعية الحيوانات بلسان حاجة الفطرة - ومن أدعية الرحمة بالصلاة والسلام عليه ، وما يرسلونه بما ظفروا من مكاسب معنوية وحسنات هداياً، إنما تقدم إليه أولاً.

الإيمان وجود والكفر عدم

ما دام الله موجوداً، وعلمه يحيط بكل شيء، فلابد أن لا يكون هناك في عالم المؤمن عدم، وإعدام، وانعدام، وعبث، ومحو، وفناء، من زاوية الحقيقة.. بينما دنيا الكفار زاخرة بالعدم والفراق والانعدام ومليئة بالعبث والفناء ومما يوضح هذه الحقيقة ما يدور على الألسنة من قول مشهور هو: من كان له الله كان له كل شيء، ومن لم يكن له الله لم يكن له شيء.

الكفر عذاب

إن الإيمان مثلما ينقذ الإنسان من الإعدام الأبدي أثناء الموت، فهو ينقذ دنيا كل شخص أيضاً من ظلمات العدم والانعدام والعبث. بينما الكفر ـ ولا سيما الكفر المطلق ـ فإنه يعدم ذلك الإنسان، ويعدم دنياه الخاصة به بالموت. ويلقيه في ظلمات جهنم معنوية محولاً لذائذ حياته آلاماً وغصصاً.

من الكلمة السادسة والعشرين

من آثار القدر والإرادة

إن القدر والجزء الاختياري هما في أعلى مراتب الإيمان والإسلام قد دخلا ضمن المسائل الإيمانية، لأنهما ينقذان النفس الإنسانية.. فالقدر ينقذها من الغرور، والجزء الاختياري ينجيها من الشعور بعدم المسؤولية. وليسا من المسائل العلمية والنظرية التي تفضي إلى ما يناقض سر القدر وحكمة الجزء الاختياري كلياً بالتشبث بالقدر للتبرئة من مسؤولية السيئات التي اقترفتها النفوس الأمارة بالسوء والافتخار بالفضائل التي أنعمت عليها والاغترار بها وإسنادها إلى الجزء الاختياري.

الخير والشر

إن في الخلق والإيجاد خيراً كثيراً مع تضمنه لشر جزئي، وإن ترك خير كثير لأجل شر جزئي، يحدث شراً كثيراً، لذا فإن ذلك الشر الجزئي يعدّ خيراً وفي حكمه. فليس في الخلق الإلهي شرٌ ولا قبح، بل يعود الشر إلى كسب العبد وإلى استعداده.

الكفر وعقوبته

الكفر وإن كان سيئة واحدة؛ إلاّ أنه تحقير لجميع الكائنات بوصمها بالتفاهة والعبثية، وتكذيب لجميع الموجودات الدالة على الوحدانية، وتزييف لجميع تجليات الأسماء الحسنى. فإن تهديده سبحانه وتعالى وشكواه باسم الكائنات قاطبة، والموجودات كافة والأسماء الإلهية الحسنى؛ كلها من الكافر شكاوى عنيفة وتهديدات مريعة هو عين الحكمة وإن تعذيبه بعذاب خالد هو عين العدالة).

القدر والشكر والصبر

إن الذي يتحدث عن القدر والجزء الاختياري إن كان ذا إيمان كامل، مطمئن القلب، فإنه يفوّض أمر الكائنات كلها، ونفسه كذلك، إلى الله سبحانه وتعالى، ويعتقد بأن الأمور تجري تحت تصرفه سبحانه وتدبيره. فهذا الشخص يحق له الكلام في القدر والجزء الاختياري لأنه يعرف أن نفسه وكل شيء، منه سبحانه وتعالى، فيتحمل المسؤولية، مستنداً إلى الجزء الاختياري الذي يعتبره مرجعاً للسيئات، فيقدّس ربه وينزّهه، ويظل في دائرة العبودية ويرضخ للتكليف الإلهي ويأخذه على عاتقه. وينظر إلى القدر في الحسنات والفضائل الصادرة عنه، لئلا يأخذه الغرور ، فيشكر ربه بدل الفخر، ويرى القدر في المصائب التي تنزل به فيصبر .

ماهية الاختيار

إن العادل الحكيم الذي تشهد لحكمته وعدالته الكائنات كلها، بلسان الانتظام والميزان، قد أعطى للإنسان جزءاً اختيارياً مجهول الماهية، ليكون مدار ثواب وعقاب. فكما أن للحكيم العادل حكَماً كثيرة خفية عنا، كذلك كيفية التوفيق بين القدر والجزء الاختياري خافية علينا. ولكن عدم علمنا بكيفية التوفيق لا يدل على عدم وجوده.

الاختيار لا ينافي القدر

إن الجزء الاختياري لا ينافي القدر، بل القدر يؤيد الجزء الاختياري؛ لأن القدر نوع من العلم الإلهي، وقد تعلق العلم الإلهي باختيارنا، ولهذا يؤيد الاختيار ولا يبطله.

الاختيار بين الدعاء والاستغفار

أيها الإنسان! إن لك إرادة في منتهى الضعف، إلاّ أن يدها طويلة في السيئات والتخريبات وقاصرة في الحسنات، هذه الإرادة هي التي تسمى بالجزء الاختياري. فسلّم لإحدى يدي تلك الإرادة الدعاء، كي تمتد وتطال إلى الجنة التي هي ثمرة من ثمار سلسلة الحسنات وتبلغ السعادة الأبدية التي هي زهرة من أزاهيرها.. وسلّم لليد الأخرى الاستغفار كي تقصر يدها عن السيئات، ولا تبلغ ثمرة الشجرة الملعونة زقوم جهنم. أي أن الدعاء والتوكل يمدّان ميلان الخير بقوة عظيمة، كما أن الاستغفار والتوبة يكسران ميلان الشر ويحدّان من تجاوزه.

كل شيء في كتاب

إن كل شيء قبل كونه وبعد كونه مكتوب في كتاب، يصرّح بهذا القرآن الكريم في كثير من آياته الكريمة أمثال : ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وتصدّق هذا الحكم القرآني الكائنات قاطبة، التي هي قرآن القدرة الإلهية الكبير، بآيات النظام والميزان والانتظام والامتياز والتصوير والتزيين وأمثالها من الآيات التكوينية.

النظام ولقدر

إن المقدار المنظم لكل شيء يبين القدر بوضوح فلو دقق النظر إلى كائن حي لتبين أن له شكلاً ومقداراً، كأنه قد خرج من قالب في غاية الحكمة والإتقان، بحيث إن اتخاذ ذلك المقدار والشكل والصورة، إما أنه يتأتى من وجود قالب مادي خارق في منتهى الانثناءات والانحناءات.. أو أن القدرة الإلهية تفصّل تلك الصورة وذلك الشكل وتُلبسها الشجرة بقالب معنوي علمي موزون أتى من القدر .

كتابات دقيقة

إن كل ثمرة تُكتب في نواتها ـ التي هي في حكم قلبها ـ مقدّرات حياة الشجرة ومستقبلها أيضاً.

والقوة الحافظة للإنسان ـ التي هي كحبة خردل في الصغر ـ تَكتب فيها يدُ القدرة بقلم القدر تاريخ حياة الإنسان وقسماً من حوادث العالم الماضية كتابةً دقيقة، كأنها وثيقة وعهد صغير من صحيفة الأعمال أعطته تلك القدرة للإنسان ووضعها في زاوية من دماغه ليتذكر بها وقت المحاسبة، وليطمئن أنّ خلق هذا الهرج والمرج والفناء والزوال مرايا للبقاء، رسَمَ فيها القدير هوّيات الزائلات، وألواحاً يكتب فيها الحفيظ العليم معاني الفانيات.

اللوح المحفوظ والكتاب المبين

كما أن القطرات تُخبر عن السحاب، والرشحات تدل على نبع الماء والمستندات والوثائق تشير إلى وجود السجل الكبير، كذلك الثمرات والنطف والبذور والنوى والصور والأشكال الماثلة أمامنا وهي في حكم رشحات القدر البديهي ـ أي الانتظام المادي في الأحياء ـ وقطرات القدر النظري ـ أي الانتظام المعنوي والحياتي ـ وبمثابة مستنداتهما ووثائقهما.. تدل بالبداهة على الكتاب المبين، وهو سجل الإرادة والأوامر التكوينية، وعلى اللوح المحفوظ، الذي هو ديوان العلم الإلهي، الإمام المبين.

قلم القدر

ما دمنا نرى أن ذرات كل كائن حي، أثناء نموه ونشوئه ترحل إلى حدود ونهايات ملتوية منثنية وتقف عندها. وتغير طريقها لتثمر في تلك النهايات حكمةً وفائدة ومصلحة. فبالبداهة إن المقدار الظاهري لذلك الشيء قد رُسم بقلم القدر.

الإنسان وقانون القدر

فما دمنا ندرك إدراكاً جازماً أن ما رُسم من حدود وثمرات ونهايات حكيمة، إنما هو بقلم القدر المادي والمعنوي، فلابد أن ما يجريه الكائن الحي طوال حياته من أحوال وأطوار قد رسم أيضاً بقلم ذلك القدر. إذ إن تاريخ حياته يجري على وفق نظام وانتظام، مع تغييره الصور واتخاذه الأشكال. فما دام قلم القدر مهيمناً على جميع ذوي الحياة، فلاشك أن تاريخ حياة الإنسان ـ الذي هو أكمل ثمرة من ثمرات العالم وخليفة الأرض الحامل للأمانة الكبرى ـ أكثر انقياداً لقانون القدر من أي شيء آخر.

ثقل إنكار القدر

كما أن القدر لا يورث ضيقاً، فإنه يمنح خفة بلا نهاية وراحة بلا غاية وسروراً ونوراً يحقق الأمن والأمان والروح والريحان؛ لأن الإنسان إن لم يؤمن بالقدر يضطر لأن يحمل ثقلاً بقدر الدنيا على كاهل روحه الضعيف ضمن دائرة ضيقة وحرية جزئية وتحرر مؤقت، لأن الإنسان له علاقات مع الكائنات قاطبة، وله مقاصد ومطالب لا تنتهيان إلاّ أن قدرته وإرادته وحريته لا تكفي لإيفاء واحدٍ من مليون من تلك المطالب والمقاصد، ومن هنا يفهم مدى ما يقاسيه الإنسان من ثقل معنوي في عدم الإيمان بالقدر، وكم هو مخيف وموحش.

القدر وفرعونية النفس

الإيمان بالقدر يحمل الإنسان على أن يضع جميع تلك الأثقال في سفينة القدر، مما يمنحه راحة تامة، إذ ينفتح أمام الروح والقلب ميدان تجوال واسع، فيسيران في طريق كمالاتهما بحرية تامة. بيد أن هذا الإيمان يسلب من النفس الأمارة بالسوء حريتها الجزئية ويكسر فرعونيتها ويحطم ربوبيتها ويحدّ من حركاتها السائبة .

الوجود خير والعدم شر

الوجود خير محض والعدم شر محض، والدليل هو رجوع جميع المحاسن والكمالات والفضائل إلى الوجود، وكون العدم أساس جميع المعاصي والمصائب والنقائص.

جمال في الآلام

في الأوضاع التي تتسم بالآلام والمصائب أنوار جمال لطيف تشف عن أشعة رحمة ضمن لمعات الحكمة الإلهية، إظهاراً لأحكام بعض الأسماء الحسنى.

المصنوعات والصانع

ما دامت الأشياء موجودة ومتقنة الصنع، فلابد أن صانعاً ماهراً قد صنعها.

يسر الأشياء وعسرها

إن لم تُسند كل الأشياء إلى الواحد الأحد، يتعسر كل شيء كتعسر الأشياء كلها. وإن اُسند كل شيء إلى الواحد الأحد، تسهل الأشياء كلها كسهولة شيء واحد.

تنفيس الغرور

يا نفسي المغرورة! إنكِ تشبهين ساق العنب، لا تغتري ولا تفتخري، فتلك الساق لم تعلق العناقيد على نفسها، بل علّقها عليها غيرها.

طريق علم الحقيقة

إن كنت ترومين الحصول على علم الحقيقة، والحكمة الحقة، فاظفري بمعرفة الله، إذ حقائق الموجودات كلها، إنما هي أشعة اسم الله الحق، ومظاهر أسمائه الحسنى، وتجليات صفاته الجليلة. واعلمي أن حقيقة كل شيء مادياً كان أو معنوياً وجوهرياً أو عرضياً، وحقيقة الإنسان نفسه إنما تستند الى نور من انوار اسمائه تعالى وترتكز على حقيقته. وإلاّ فهي صورة تافهة لا حقيقة لها.

الحياة دقيقة

يا نفسي! إن كنت مشتاقة إلى هذه الدنيا، وتفرين من الموت، فاعلمي يقيناً أن ما تظنينه حياة، ما هو إلاّ الدقيقة التي أنت فيها، فما قبل تلك الدقيقة من زمان وما فيه من أشياء دنيوية كله ميت. وما بعد تلك الدقيقة من زمان وما فيه كله عدم، لا شيء.

طرق إلى الله

للوصول إلى الله سبحانه وتعالى طرائق كثيرة، وسبل عديدة ومورد جميع الطرق الحقة ومنهل السبل الصائبة هو القرآن الكريم. إلا أن بعض هذه الطرق أقرب من بعض وأسلم وأعم.

من الكلمة السابعة والعشرين

لكل عصر سلع رائجة

إن المتاع الذي تُلفت إليه الأنظار في عصرنا الحاضر وتُرغّب فيه هو الانشغال بالأمور السياسية وأحداثها، وتأمين الراحة في الحياة الدنيا وحصر الهمّ بها، ونشر الأفكار المادية وترويجها. بينما نرى أن السلعة الغالية النفيسة، والبضاعة الرائجة المقبولة في عصر السلف الصالح وأكثر ما يرغَّب فيه في سوق زمانهم هو إرضاء رب السموات والأرض والوقوف عند حدوده، واستنباط أوامره ونواهيه من كلامه الجليل، والسعي لنيل وسائل الوصول إلى السعادة الخالدة التي فتح أبوابها إلى الأبد القرآن الكريم ونور النبوة الساطع.

من آثار الحضارة الأوروبية

إن تحكم الحضارة الأوروبية، وتسلط الفلسفة المادية وأفكارها، وتعقد متطلبات الحياة اليومية.. كلها تؤدي إلى تشتت الأفكار وحيرة القلوب وتبعثر الهمم وتفتت الاهتمامات، حتى أضحت الأمور المعنوية غريبة عن الأذهان.

الشريعة الخاتمة كافية وافية

تتبدل الشرائع بتبدل العصور، وقد تأتي شرائع مختلفة، وترسل رسل كرام في عصر واحد، حسب الأقوام. وقد حدث هذا فعلاً ،أما بعد ختم النبوة، وبعثة خاتم الأنبياء والمرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام فلم تعد هناك حاجة إلى شريعة أخرى. لأن شريعته العظمى كافية ووافية لكل قوم في كل عصر.

ترقي البشرية والرسالة الخاتمة

بمجيء خاتم النبيين وهو نبي آخر الزمان صلى الله عليه وسلم ، تكاملت البشرية وكأنها ترقت من مرحلة الدراسة الابتدائية فالثانوية إلى مرحلة الدراسة العالية وأصبحت أهلاً لأن تتلقى درساً واحداً، وتنصت إلى معلم واحد، وتعمل بشريعة واحدة. فرغم كثرة الاختلافات لم تعد هناك حاجة إلى شرائع عدة ولا ضرورة إلى معلمين عديدين.

تعدد المذاهب الفقهية

لعجز البشرية من أن تصل جميعاً إلى مستوى واحد، وعدم تمكنها من السير على نمط واحد في حياتها الاجتماعية فقد تعددت المذاهب الفقهية في الفروع.

فلو تمكنت البشرية - بأكثريتها المطلقة - أن تحيا حياة اجتماعية واحدة، وأصبحت في مستوى واحد، فحينئذ يمكن أن تتوحد المذاهب.

ولكن مثلما لا تسمح أحوال العالم، وطبائع الناس لبلوغ تلك الحالة، فإن المذاهب كذلك لا تكون واحدة.

منزلة الصحابة

الصحابة الكرام رضى الله عنهم الذين وُهبوا فطراً سليمة ومشاعر سامية، وهم التواقون لمعالي الأمور ومحاسن الأخلاق شدوا أنظارهم إلى الذي تسنّم قمة أعلى عليي الكمال والداعي إلى الخير والصدق والحق، بل هو المثال الأكمل والنموذج الأتم، ذلكم الرسول الكريم حبيب رب العالمين محمد صلى الله عليه وسلم ، فبذلوا كل ما وهبهم الله سبحانه من قوة للانضواء تحت لوائه، بمقتضى سجيتهم الطاهرة وجبلتهم النقية، ولم يُر منهم أي ميل كان إلى أباطيل مسيلمة الكذاب الذي هو مثال الكذب والشر والباطل والخرافات.

تغير الأحوال عبر العصور

إن الامور تغيرت تدريجياً وبمرور الزمن فلم تبق على حالها كما هي في قرون الخير، فتقلصت المسافة بين الكذب والصدق رويداً رويداً كلما اقتربنا إلى عصورنا الحاضرة حتى أصبحا مترادفين متكاتفين في العصر الحاضر، فصار الصدق والكذب يعرضان معاً في معرض واحد، ويصدران معاً من مصدر واحد ففسدت الأخلاق الاجتماعية واختلت موازينها. وزادت الدعايات السياسية إخفاء قبح الكذب المرعب وستر جمال الصدق الباهر .

النبوة والولاية

إن نسبة النبوة إلى الولاية كنسبة الشمس المشهودة بذاتها إلى صورتها المثالية الظاهرة في المرايا، لذا فإن سمو منزلة العاملين في دائرة النبوة وهم الصحابة الكرام الذين كانوا أقرب النجوم إلى تلك الشمس الساطعة، وعلو مرتبتهم على الأولياء الصالحين هو بنسبة سمو دائرة النبوة وعلوها على دائرة الولاية، بل حتى لو كسب أحد الأولياء مرتبة الولاية الكبرى، وهي مرتبة ورثة الأنبياء والصديقين وولاية الصحابة، فإنه لا يبلغ مقام أولئك الصفوة المتقدمين في الصف الأول، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

فضل الصحبة

إن الصحبة النبوية إكسير عظيم، لها من التأثير الخارق ما يجعل الذين يتشرفون بها لدقيقة واحدة ينالون من أنوار الحقيقة ما لا يناله من يصرف سنين من عمره في السير والسلوك، ذلك لأن في الصحبة النبوية انصباغاً بصبغة الحقيقة، وانعكاساً لأنوارها، إذ يستطيع المرء بانعكاس ذلك النور الأعظم أن يرقى إلى مراتب سامية ودرجات رفيعة، وأن يحظى بالتبعية والانتساب بأرفع المقامات. مثله في هذا مثل خادم السلطان، الذي يستطيع أن يصل إلى مواقع رفيعة لا يقدر على بلوغها قواد السلطان وأمراؤه.

الصحابة في قمة الكمال البشري

لقد أثبتنا في رسالة (الاجتهاد) أن الصحابة الكرام هم في قمة الكمال الإنساني، حيث إن التحول العظيم الذي أحدثه الإسلام في مجرى الحياة في ذلك الوقت، سواء في المجتمع أو في الفرد، قد أبرز جمال الخير والحق واظهر نصاعتهما الباهرة، وكشف عن خبث الشر والباطل وبيّن سماجتهما وقبحهما، حتى انجلى كل من الحق والباطل والصدق والكذب بوضوح تام، يكاد المرء يلمسه لمس اليد، وانفرجت المسافة بين الخير والشر وبين الصدق والكذب، ما بين الإيمان والكفر، بل ما بين الجنة والنار.

منزلة الصحب والآل

إن الصحابة الكرام إنما يمثلون اللبنة الأولى في تأسيس صرح الإسلام، وهم الصف الأول في نشر أنوار القرآن، فلهم إذن قسط وافر من جميع حسنات الأمة، حسب قاعدة (السبب كالفاعل). فالأمة الإسلامية أثناء ترديدها: (اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم) إنما تبين ما للآل والصحب الكرام من حظ وافر في حسنات الأمة جميعها.

من الكلمة الثامنة والعشرين

جمال الدنيا وجمال الآخرة

في هذه الدنيا القبيحة الميتة التي أغلبها قشر، يكفي للجمال والحسن أن يبدو جميلاً للبصر، ولا يكون مانعاً للألفة. بينما في الجنة التي هي جميلة وحيّة ورائعة وكلها لبّ محض لا قشر فيها تطلب حواسُ الإنسان كلها - كالبصر . ولطائفه كلها، أخذ حظوظ أذواقها المختلفة، ولذائذها المتباينة من الجنس اللطيف، وهن الحور العين، ومن نساء الدنيا لأهل الجنة، وهن يفضلن الحور العين بجمالهن، بمعنى أن الحديث الشريف يشير إلى أنه ابتداء من أعلى طبقة من جمال الحلل حتى مخ السيقان في داخل العظام، كل منها مدار ذوق لحس معين وللطيفة خاصة.

الحور العين ومراتب الحسن

إن الحور العين جامعة لكل نوع من أنواع الزينة والحسن والجمال المادية والمعنوية، التي تشبع وترضي كل ما في الإنسان من مشاعر وحواس وقوى ولطائف عاشقة للحس ، ومحبة للذوق ، ومفتونه بالزينة ، ومشتاقة إلى الجمال.. بمعنى أن الحور يلبسن سبعين طرزاً من أقسام زينة الجنة، دون أن يستر أحدها الآخر ، إذ ليس من جنسه، بل يبدين جميع مراتب الحسن والجمال المتنوعة بأجسادهن وأنفسهن وأجسامهن بأكثر من سبعين مرتبة حتى يظهرن حقيقة إشارة الآية الكريمة: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزُّخرُف: ٧١] .

تشبيه لطيف

نعم، ما دامت الأشجار في هذه الدنيا السفلية، وهي في أدنى مرتبة من ذوات الحياة، لا تترك فضلات مع تغذيتها الكثيرة، فلِمَ لا يكون أهل الطبقات العليا، وهم أهل الجنة دون فضلات؟

الإنسان والملك العظيم في الجنة

لو كان الإنسان جسداً جامداً فحسب، أو كان مخلوقاً نباتياً وعبارة عن معدة فقط، أو عبارة عن جسم حيواني، وكائن جسماني موقت بسيط مقيد ثقيل، لما كان يملك تلك الكثرة الكاثرة من القصور والحور،ولا كانت تليق به. ولكن الإنسان معجزة من المعجزات الإلهية الباهرة، بحيث لو يُعطى له ملك الدنيا كلها وثروتها ولذائذها في هذه الدنيا الفانية وفي هذا العمر القصير فلا يُشبع حرصَه، حيث هناك حاجات لقسم من لطائف غير منكشفة.

بينما الإنسان في دار السعادة الأبدية، وهو المالك لاستعدادات غير متناهية، يطرق باب رحمة غير متناهية، بلسان احتياجات غير متناهية، وبيد رغبات غير متناهية، فلاشك أن نيله لإحسانات إلهية كما ورد في الأحاديث الشريفة معقول وحق وحقيقة قطعاً.

من الكلمة التاسعة والعشرين

سكان السماوات

رغم ضآلة كرتنا الأرضية وصغرها قياساً إلى السماء فإن ملأها بمخلوقات ذوات مشاعر ـ بين حين وآخر ـ وإخلاءها منهم وتزيينها بآخرين جُدد يشير، بل يصرح:

أن السماوات ذات البروج المشيدة ـ وكأنها قصور مزيّنة ـ لابد أنها ملأى أيضاً: بذوي حياة مدركين واعين الذين هم نور الوجود، ومن ذوي الشعور الذين هم ضياء الأحياء، وأن تلك المخلوقات ـ كالإنس والجن ـ هم كذلك: مشاهدو قصر هذا العالم الفخم.. ومطالعو كتاب الكون هذا.. والداعون الأدلاّء إلى سلطان الربوبية.. ويمثلون بعبوديتهم الكلية الشاملة: تسابيح الكائنات، وأوراد الموجودات الضخمة.

موظفون وطائرات

في كل جهة من هذا الكون، وفي كل دائرة من دوائره، هناك ((موظفون)) من طبقة ((الملائكة والروحانيات)) قد أسند إليهم واجب القيام بعبودية مخصوصة.. فاستناداً إلى إشارات بعض الأحاديث النبوية الشريفة من جهة، واستلهاماً من حكمة انتظام هذا العالم من جهة أخرى يمكن القول: إن بعضاً من الأجسام الجامدة السيّارة، ابتداء من النجوم وانتهاءً بقطرات المطر، إنما هي سفن ومراكب لقسم من الملائكة، فهم يركبونها بإذن إلهي، ويشاهدون عالم الشهادة سائحين فيه.. ويمثلون (تسبيحات) تلك المراكب.. وحيث إن الشهداء (أرواحهم في جوف طير خضر تسرح من الجنّة) ـ كما جاء في حديث نبوي شريف ـ لذا يمكن القول: إنه ابتداءً مما أشار الحديث الشريف من (طير خضر) إلى النحل من

الأجسام الحية هي طائرات لأجناس من الأرواح، فهي تحل في أجساد تلك الأحياء، بأمر الله الحق، وتشاهد العالم المادي من خلال حواسها كالأعين والآذان، وتتفرج على روائع المعجزات الفطرية فيه، وبذلك تؤدي تسبيحاتها المخصوصة.

من عجائب الخلق

إن الفاطر الحكيم الذي يخلق باستمرار وبفعالية جادة حياةً لطيفة ذات إدراك متنّور، من هذا التراب الكثيف على ضآلة علاقته بالروح، ومن الماء العكر على جزئية تعلّقه بنور الحياة، لا بدّ أن يكون له أيضاً مخلوقات كثيرة جداً ذوات شعور، قد خلقت من بحر النور،وحتى من محيط الظلمة، ومن الهواء، ومن الكهرباء ومن سائر المواد اللطيفة التي هي أليق بالروح وأنسب للحياة وأقرب إليها.

الوجود والحياة

إن كمال الوجود مع الحياة، بل إن الوجود الحقيقي للوجود كائن مع الحياة، فالحياة نور الوجود، والشعور ضياء الحياة.. والحياة رأس كل شيء وأساسه.. وهي التي تجعل كل شيء ملكاً لكل كائن حيّ، فتجعل الشيء الحيّ الواحد بحكم المالك لجميع الأشياء.. فبالحياة يتمكن الشيء الحيّ أن يقول: إن هذه الأشياء ملكي، والدنيا مسكني، والكائنات كلها ملك أعطانيه مالكي.

بين الحي والجامد

انظر إلى الجسم الجامد، وإن كان جبلاً شاهقاً، فهو غريب.. يتيم.. وحيد.. إذ تنحصر علاقته وصلته بمكانه، وما يتصل به من أشياء فقط، وما يوجد في الكائنات الأخرى معدوم بالنسبة إليه، وذلك لأنه ليس له (حياة) حتى يتصل بها، ولا (شعور) حتى يتعلق به.ثم انظر إلى جسم صغير حيّ كالنحل مثلاً ففي الوقت الذي تدخل فيه ((الحياة)) فإنه يقيم عقداً تجارياً وصلةً مع جميع الكائنات والموجودات، وخاصة مع نباتات الأرض وأزهارها بحيث يمكنه القول: ((إن جميع الأرض هي حديقتي ومتجري...)) فهناك إذن، عدا الحواس المعروفة الظاهرة والباطنة في الأحياء، دوافع فطرية أخرى غير معروفة كأحاسيس سائقة ومشوّقة تعطي للنحل فرصة التصرف وإمكانية الاختصاص والأنس والتبادل مع أكثر أنواع الموجودات في الدنيا.

قيمة الحياة

الحياة بحد ذاتها أسطع برهان لوحدانية الله سبحانه وتعالى. وأوسع مجال لنعمته العظيمة، وألطف تجلٍ من تجليات رحمته، وأدقّ نقش من نقوش صنعته الخفية النزيهة.

الحياة أساس الوجود

إن لم تكن هناك حياة فالوجود ليس بوجود، ولا يختلف عن العدم، فالحياة ضياء الروح والشعور نور الحياة.

سكان قصور السماء

إن جوانب هذه القصور السماوية والبروج الشاهقة تدّب فيها سكنة من الأحياء وذوي المشاعر بما يلائمها ويتجاوب معها، إذ كما أن السمك يعيش في الماء، كذلك من الممكن أن يوجد سكنة نورانيون في لهيب الشمس ممن يتلاءمون معها، لأن النار لا تحرق النور بل تمدّه وتديمه.

وما دامت القدرة الإلهية تخلق أحياءً وذوي أرواح لا تعدّ ولا تحصى من مواد عادية جداً، بل من أكثف العناصر، وتبدّل المادة الكثيفة الغليظة بالحياة إلى مادة لطيفة بكل عناية وإتقان، وتنشر نور الحياة في كل شيء بغزارة، وترصّع أغلب الأشياء بضياء الشعور، فلابد أن ذلك القدير الحكيم لن يهمل بقدرته الكاملة، وبحكمته التامة النور والأثير وأمثالهما من السيالات اللطيفة والقريبة بل الملائمة للروح دون حياة، ولن يتركه جامداً ولن يدعه دون شعور، وإنما الأولى أن يخلق جلّت قدرته وحكمته أحياءً وذوي شعور من تلك المواد السيّالة اللطيفة من مادة النور وحتى من الظلام وحتى من مادة الأثير وحتى من المعاني وحتى من الهواء وحتى من الكلمات. فيخلق كثرة كاثرة من المخلوقات ذوات الأرواح المختلفة ـ كالأجناس الكثيرة المختلفة للحيوانات ـ فيصير قسم منها الملائكة وقسم آخر أجناس الجنّ وعالم الروح.

المادة والروح

لقد ثبت بالتجربة أن المادة ليست أساساً وأصلاً ليبقى الوجود مسخّراً من أجلها وتابعاً لها، بل هي قائمة بمعنى، وهذا المعنى هو الحياة.. هو الروح..

أمة الملائكة

كما أن البشر هم أمة يحملون ويمثلون وينفّذون الشريعة الإلهية الآتية من صفة " الكلام "، كذلك الملائكة أمة عظيمة جداً بحيث إن قسم العاملين منهم يحملون ويمثلون وينفّذون الشريعة التكوينية الآتية من صفة " الإرادة ".

وهم نوع من عباد الله الطائعين لأوامر المؤثر الحقيقي الذي هو القدرة الفاطرة والإرادة الإلهية طاعة كاملة حتى جعلوا كل جرم من الأجرام السماوية العلوية بمثابة مسجدٍ ومعبدٍ لهم.

تسبيحات ومسبحون

كما أن الزهرة ... بإظهارها دقة الصنعة فيها تسبّح بلسان حالها بأسماء فاطرها، فرياض الأرض كلها أيضاً هي بحكم تلك الزهرة، لها وظيفة تسبيحية كلية في غاية الانتظام.

وكما أن الثمرة تعبّر وتعلن بنظامها البديع المنسق عن تسبيحاتها، كذلك الشجرة الباسقة بكليتها، لها عبادة ووظيفة فطرية في أتمّ نظام.

وكما أن الشجرة الباسقة تسبح بحمد ربّها بكلمات أوراقها وأزهارها وأثمارها، فإن لآفاق السماوات الشاسعة تسابيحها للفاطر الحكيم بكلمات شموسها ونجومها وأقمارها، وهي تحمد وتمجّد صانعها جل جلاله.

نظام كامل وتناسق بديع

إذا تأملنا في أرجاء الكون نرى أن هناك نظاماً كاملاً وتناسقاً بديعاً مقصوداً في جميع أجزائه. فنشاهد رشحات الإرادة والاختيار، ولمعات القصد في كل جهة.. حتى نبصر نور " القصد " في كل شيء، وضياء " الإرادة " في كل شأن، ولمعان " الاختيار " في كل حركة، وشعلة " الحكمة " في كل تركيب.

نماذج للقيامة والحشر

هناك أشكال مختلفة كثيرة من أنواع القيامة يمرّ بها الإنسان في فترة حياته، ففي كل ليلة هناك نوع من الموت وفي الصباح يرى نوعاً من البعث، أي أنه يرى ما يشبه أمارات الحشر، بل إنه يرى كيف تتبدّل جميع ذرات جسمه في بضع سنين، حتى إنه يرى نموذج قيامةٍ وحشرٍ تدريجيين مرتين في السنة الواحدة من تلك التبدلات التي تحصل في أجزاء جسمه جميعها. ويشاهد كذلك الحشر والنشور والقيامة النوعية في كل ربيع في أكثر من ثلاثمائة ألف من أنواع النباتات والحيوانات.. فهذا الحشد من الأمارات والإشارات التي لا تحدّ على الحشر، وهذا الحدّ من العلامات والرموز التي لا تحصى على النشور.. ما هو إلا بمثابة ترشحات للقيامة الكبرى تشير إلى الحشر الأكبر.

من الكلمة الثلاثين

التعاون دستور الكون

من القواعد الثابتة للنبوة في الحياة الاجتماعية، أن (التعاون) دستور مهيمن على الكون، ابتداءً من الشمس والقمر إلى النباتات والحيوانات، فترى النباتات تمد الحيوانات، والحيوانات تمد الإنسان، بل ذرات الطعام تمدّ خلايا الجسم وتعاونها.

حكم ومنافع لكل شيء

إنه من الدساتير الحكيمة للنبوة، أن لكل شيء حِكَماً كثيرة ومنافع شتى حتى إن للثمرة من الحِكَمِ ما يُعدّ بعدد ثمرات الشجرة، كما تُفهم من الآية الكريمة ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء: ٤٤] ، فإن كانت هناك نتيجة واحدة . لخلقِ ذي حياةٍ. متوجهة إلى المخلوق نفسه، وحكمة واحدة من وجوده تعود إليه، فإن آلافاً من النتائج تعود إلى خالقه الحكيم وآلافاً من الحكم تتوجه إلى فاطره الجليل.

دلائل على الله

إن الموجودات قاطبةً من الذرات إلى الشموس لتدل دلالة واضحة على إرادة الخالق الحكيم؛ بتعيّناتها، وانتظامها، وحِكَمها، وموازينها.

طاغوتان

(أنا) في العالم الصغير ، الإنسان كالطبيعة في العالم الكبير ، كلاهما من الطواغيت: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٥].

الوجه الآخر لتحولات الذرات

إن تحولات الذرات وجولانها عبارة عن اهتزازات الذرات وتنقلها أثناء كتابة قلم القدرة الإلهية للآيات التكوينية في كتاب الكون. فهي ليست كما يتوهمه الماديون والطبيعيون من أنها ألعوبة المصادفة في حركة عشوائية لا معنى لها ولا مغزى؛ ذلك لأن كل ذرة، وكل الذرات تقول في مبدأ حركتها: " بسم الله " . كما تقوله جميع الموجودات. حيث إنها تحمل أثقالاً هائلة تفوق كثيراً طاقتها المتناهية، كحمل بذرة الصنوبر على أكتافها شجرتها الضخمة. ثم عند انتهاء وظيفتها تقول: " الحمد لله " حيث إنها أظهرت أثراً بديعاً كأنه ينشد قصيدة رائعة في الثناء على الصانع الجليل، لما فيه من جمال الإتقان الحكيم، وروعة صورةٍ تنم عن مغزى عميق تتحير منه العقول..

الماديون والمصادفة

إن الماديين الذين انحدرت عقولُهم إلى عيونهم، فلا يرون إلاّ المادة، يرون بحكمتهم الخالية من الحكمة وبفلسفتهم المبنية على أساس العبث في الوجود: أن تحولات الذرات مربوطة بالمصادفة. حتى اتخذوها قاعدة مقررة لدساتيرهم كلها، جاعلين منها مصدر إيجادٍ للمخلوقات الربانية!

فالذي يملك ذرة من الشعور يعلم يقيناً مدى بُعدهم عن منطق العقل، في إسنادهم هذه المخلوقات المزدانة بحِكَمٍ غزيرة، إلى شيء مختلط عشوائي لا حكمة فيه ولا معنى.

الإمام المبين

" الإمام المبين " هو في حكم فهرس وبرنامج شجرة الخلق، الممتدة عروقها وأغصانها وفروعها حول الماضي والمستقبل وعالم الغيب. فـ " الإمام المبين " بهذا المعنى سجل للقدر الإلهي، وكراس دساتيره. والذرات تُساق إلى حركاتها ووظائفها في الأشياء بإملاء من تلك الدساتير وبحكمها.

الكتاب المبين

أما الكتاب المبين " فهو يتوجه إلى عالم الشهادة أكثر من توجهه إلى عالم الغيب، أي:ينظر إلى الزمان الحاضر أكثر مما ينظر إلى الماضي والمستقبل. فهو: عنوانٌ للقدرة الإلهية وإرادتها، وسجل لهما وكتاب، أكثر مما هو عنوان للعلم الإلهي وأمره .

لوح المحو والإثبات

أما " لوح المحو والاثبات " فهو سجل متبدل للّوح المحفوظ الأعظم الثابت الدائم، ولوحة " كتابة ومحو " في دائرة الممكنات أي هو سجل للأشياء المعرضة دوماً إلى الموت والحياة، إلى الفناء والوجود. بحيث إن حقيقة الزمان هو هذا .نعم! فكما أن لكل شيء حقيقة، فحقيقة ما نسميه بالزمان الذي يجري جريان النهر العظيم في الكون هي في حكم صحيفة ومداد لكتابات القدرة الإلهية في لوح المحو والإثبات.

الأرض مزرعة المعجزات

إن مالك الملك ذا الجلال، قد خلق هذه الدنيا . ولا سيما وجه الأرض . على هيئة مزرعة واسعة، أي مهّدها لتكون قابلة لنمو محاصيل الموجوادت ونشوئها ، وظهورها بجدّتها وطراوتها، أي ليزرع فيها معجزات قدرته غير المتناهية ويحصدها.

ففي مزرعته الشاسعة هذه التي هي بسعة سطح الأرض، يبرز سبحانه من معجزات قدرته كائنات جديدة، في كل عصر، في كل فصل، في كل شهر، في كل يوم، بل في كل ساعة، فيعطي ساحةَ الأرض محاصيل متنوعة جديدة، بتحريك الذرات بحكمة تامة وتوظيفها بنظام متقن. مُبيناً سبحانه وتعالى، بحركات الذرات هذه هدايا رحمته الصادرة من خزينته التي لا تنضب، ونماذج معجزات قدرته التي لا تنفد.

الذرات وتجلي الأسماء الحسنى

إنه سبحانه وتعالى يحرّك الذرات بحكمة تامة ويسخرها في وظائف منظمة لأجل إظهار بدائع الموجودات كي تفيد الأسماء الحسنى عن معاني تجلياتها غير المتناهية. فيُخرج سبحانه في مكان محدود ما لايحد من بدائع الصور الدالة على تلك التجليات غير المحدودة ويكتب في صحيفة ضيقة آياتٍ تكوينية لاحدّ لها، تعبّر عن معانٍ سامية غير محدودة.

حركة الذرات ومزرعة الآخرة

إن الحكيم ذا الجلال يحرّك الذرات في مزرعة هذه الدنيا الضيقة وينسجها في مصنع الأرض، جاعلاً الكائنات سيالةً والموجودات سيارةً، وذلك لأجل إعداد ما يناسب من لوازم أو تزيينات أو محاصيل لعوالم واسعة لاحدّ لها، كعالم المثال وعالم الملكوت الواسع جداً وسائر عوالم الآخرة غير المحدودة. فيهيئ سبحانه في هذه الأرض الصغيرة، محاصيل ونتائج معنوية كثيرة جداً، لتلك العوالم الكبيرة الواسعة جداً. ويُجري من الدنيا سيلاً لا نهاية له ينبع من خزينة قدرته المطلقة ويصبّه في عالم الغيب، وقسماً منه في عوالم الآخرة.

من ثمرات حركة الذرات

يحرّك سبحانه وتعالى الذرات بقدرته في حكمة تامة ويسخرّها في وظائف منتظمة إظهاراً لكمالات إلهية لا نهاية لها، وجلوات جمالية لاحدّ لها، وتجليات جلالية لامنتهى لها، وتسبيحات ربانية لا عدّ لها، في هذه الأرض الضيقة المحدودة، وفي زمان قليل متناهٍ. فيجعل سبحانه وتعالى الموجودات تسبّح تسبيحات غير متناهية في زمانٍ متناهٍ وفي مكان محدود، مبيناً بذلك تجلياته الجمالية والكمالية والجلالية المطلقة موجداً كثيراً من الحقائق الغيبية، وكثيراً من الثمرات الاخروية، وكثيراً من البدائع المثالية . لصور الفانين وهوياتهم الباقية . وكثيراً من نسائج لوحية حكيمة. فالذي يحرك الذرات، ويبرز هذه المقاصد العظيمة، وهذه الحكم الجسيمة، إنما هو الواحد الأحد، وإلاّ فيجب أن يكون لكل ذرة عقل بكبر الشمس!.

نقطة كمال ونور وجود

إن الخالق الحكيم قد عيّن لكل شيء نقطة كمال يناسب ذلك الشيء، وحدّد نورَ وجودٍ يليق به، فيسوق ذلك الشيء إلى نقطة الكمال تلك، باستعداد يمنحه إياه.

وظائف وأجرة

إن ذلك الخالق الكريم، أثناء تسخيره الحيوانات لإنفاذ قانون التناسل العظيم، يمنحها لذةً جزئية، أجرةً لأدائها الوظيفة. ويهب للحيوانات المستخدمة لإنفاذ أوامر ربانية ، كالبلبل والنحل ، أجرةَ كمالٍ راقية، مقاماً يبث الشوق والمتعة.

حقائق الأشياء وتجليات الأسماء

إن حقيقة كل شيء تتوجه إلى تجلي اسمٍ من الأسماء الإلهية الحسنى، ومرتبطة بها، وهي كالمرآة العاكسة لأنواره. فذلك الشيء مهما اتخذ من أوضاع جميلة، فالجمال يعود إلى شرف ذلك الاسم وسموه؛ إذ يقتضيه ذلك الاسم. فسواءٌ أعَلِم ذلك الشيء أم لم يعلم، فذلك الوضع الجميل مطلوب في نظر الحقيقة.

مقامات وكمالات لا تسترد

إن ما أعطاه الفاطر الحكيم من مقام وكمال، إلى شيء ما، بمقتضى دستور الكرم، لا يستردّه منه عند انقضاء مدة ذلك الشيء وانتهاء عمره، بل يُبقي ثمراته، ونتائجه، وهويته المعنوية، ومعناه، وروحه إن كان ذا روح.

فمثلا : يُبقي سبحانه وتعالى معاني الكمالات التي ينالها الإنسان وثمراتها، حتى إن شكر المؤمن الشاكر وحمده على ما يأكله من فواكه زائلة، يعيده سبحانه إليه مرة أخرى على صورة فاكهة مجسمة طيبة من فواكه الجنة.

لا إسراف في الخلق

إن الخالق الحكيم سبحانه لا يسرف في شيء قط، ولا يعمل عبثاً مطلقاً إذ يستعمل حتى الأنقاض المادية للمخلوقات الميتة التي انتهت مهماتُها في الخريف، في بناء مخلوقات جديدة في الربيع. لذا، فمن مقتضى الحكمة الإلهية، إدراج هذه الذرات الأرضية الجامدة، وغير الشاعرة، والتي أنجزت وظائف جليلة في الأرض في قسم من أبنية الآخرة التي هي حية وذات شعور بكل ما فيها، بأحجارها وأشجارها بدلالة الآية الكريمة ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [إبراهيم:٤٨]، وبإشارة الآية الكريمة ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، ولأن

ترك ذرات الدنيا المتهدمة في الدنيا نفسها، أو رميها إلى العدم إسراف وعبث.

من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة

إن كثيراً جداً من آثار هذه الدنيا ومعنوياتها وثمراتها، ومنسوجات أعمال المكلفين كالجن والإنس . وصحائف أفعالهم، وأرواحهم، وأجسادهم، تُرسل إلى سوق الآخرة ومعرضها. فمن مقتضى العدل والحكمة أن تُرسل أيضاً الذرات الأرضية التي رافقت تلك الثمرات والمعاني وخَدَمَتها مع أنقاض هذه الدنيا التي ستدمّر إلى العالم الأخروي وتستعمل في بنائه. وذلك بعد تكاملها تكاملاً يخصّها من حيث الوظيفة، أي بعد أن نالت نور الحياة كثيراً وخدمَتها، وأصبحت وسيلة لتسبيحات حياتية. من هذه الحقيقة ينكشف طرف من قانون عظيم هو : " قانون العدل " .

تحولات الذرات والحكم السامية

إن تحولات الذرات أيضاً في هذه الدنيا . كسائر الموجودات تجول حسب ما خطه القدر الإلهي من حدود ووفق ما تعطيه القدرة الإلهية من أوامر تكوينية وعلى أساس ميزان علمي حساس، لأجل حِكَمٍ سامية، وكأنها تتهيأ للرحيل إلى عالم آخر أسمى!.

قانون القيومية

إن الله سبحانه وتعالى يذيب هذا العالم الكثيف الجامد ويجمّله ويلمّعه بحركات الذرات ونور الحياة ليهيئه إلى العالم الآخر الحي اللطيف السامي الطاهر، وكأنه يزيّنه للرحيل إلى عالم لطيف. فالذين لا يستوعبون بعقولهم الضيقة حشر البشر، لو نظروا بنور القرآن وبمرصاده لرأوا أن " قانون قيومية محيطا " واضح رأي العين، يحشر جميع الذرات كحشر الجنود في الجيش ويتصرف فيها، كما هو مشاهد.

الذرة الفنانة

كل ذرة تبدي نفسها في حكم ريشةِ قلمٍ صغير للقدرة الإلهية في تصوير كل مخلوق بديع الذي هو بمثابة قصيدة ثناء وحمدا لله تعالى. بل كل ذرة تبين نفسها في صورة طرف إبرة لأذرع معنوية لا حد لها لحاكٍ رباني معظم، تدور الإبرة على أسطوانات وهي المصنوعات الربانية فتنطقها بقصائد ثناء وحمد ربانية، وتنشدها أناشيد تسبيحات إلهية.

من الكلمة الواحدة والثلاثين

العروج بالجسم

كما يحصل لكل إنسان سريانٌ بعقله في سرعة الخيال، ولكل ولي جَوَلان بقلبه في سرعة البرق، ولكل مَلَكٍ دَوَرانٌ بجسمه النوراني في سرعة الروح من العرش إلى الفرش ومن الفرش إلى العرش، ولأهل الجنة عروجٌ في سرعة البُراق من ميدان الحشر إلى الجنة وإلى ما يزيد على بُعد خمسمائة سنة.. فإن الجسم المحمدي صلى الله عليه وسلم الذي هو مخزن أجهزته السامية ومدار وظائف لا تحد لروحه العالية سيرافق تلك الروح المحمدية التي هي نور، وفي قابلية النور، وألطف من قلوب الأولياء، وأرق من أرواح الأموات، وأشفّ من أجسام الملائكة، وأكثر ظرافة من الجسد النجمي والبدن المثالي.. سيرافقها حتماً وسيعرج معها إلى العرش الأعظم..

لماذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

لأن أفضل مَن بلّغ مقاصد رب العالمين من بين البشر، وكشف طلسمها وحلّ لغز الخلق، وأكمل مَن دعا إلى عظمة محاسن الربوبية هو محمد صلى الله عليه وسلم ، فلا ريب أن سيكون له من بين البشر سيرٌ وسلوك معنوي سام بحيث يكون له معراجاً في صورة سير وسياحة في العالم الجسماني، وسيقطع المراتب إلى ما وراء طبقات الموجودات وبرزخ الأسماء وتجلي الصفات والأفعال المعبر عنها بسبعين ألف حجاب. فهذا هو المعراج.

علاقتان في المعراج

حيث إن كل إنسان لا يستطيع أن يرقى إلى أعلى مقام كلي متجرداً من الجزئية والسفلية، فلا جرم أن بعضاً من أفرادٍ خواص من بين أولئك الناس سيكلَّف بتلك الوظيفة، ليكون ذا علاقة مع جهتين معاً، أي يكون إنساناً ليعلّم الناس، وفي الوقت نفسه يكون ذا روح في غاية السمو ليحظى بشرف الخطاب الإلهي مباشرة.

سبحان الله القريب

إن الله سبحانه وتعالى أقرب إلى كل شيء من كل شيء إلاّ أن كل شيء بعيدٌ عنه بُعداً مطلقاً.

مساكن وسكان

إن الأرض وهي من السيارات المتوسطة الحجم وصغيرة وكثيفة بالنسبة للنجوم، إن كانت مليئة بما لا يعد ولا يحصى من أنماط الحياة والشعور - وهما أثمن شيء في الموجودات وأنوره - فكيف بالسماوات التي هي بحار واسعة تسبح فيها نجوم كأنها عمارات مزدانة وقصور شاهقة بالنسبة للأرض التي هي بيت مظلم صغير؟

إذن فالسماوات مساكن ذوي شعورٍ وذوي حياةٍ، وبأجناس متنوعة وبأعداد لا تعد ولا تحصى، وهم الملائكة والروحانيات.

ما زاغ البصر وما طغى

ما دام الصانع الجليل قد أراد إظهار آياته الكبرى له صلى الله عليه وسلم في مُلكه وملكوته، وأراد إطلاعه على منابع ومصانع هذا العالم، وأراد إراءته النتائج الأخروية لأعمال البشر.. فلا شك في أن يصحب معه إلى العرش، بصَرَه الذي هو

في حكم مفتاح لعالم المُبصرات، وسمعَه الذي يطّلع به على آيات عالم المسموعات. كما أن من مقتضى العقل والحكمة أن يصحب معه إلى العرش جسمَه المبارك أيضاً الذي هو في حكم ماكنة آلاتٍ وأجهزةٍ تدور عليها وظائف روحه التي لا تحد؛ إذ كما تجعل الحكمة الإلهية الجسم رفيقاً للروح في الجنة، حيث الجسد مناط كثير من وظائف العبودية وما لا يحد من اللذائذ والآلام، فلابد أن ذلك الجسد المبارك سيرافق الروح. وحيث إن الجسم يدخل الجنة مع الروح، فإنه من محض الحكمة أيضاً جعل جسده المبارك رفيقاً للذات المحمدي صلى الله عليه وسلم الذي عرج به إلى سدرة المنتهى التي هي جسد جنة المأوى .

حكمة المعراج

لأجل إظهار نور وحدته سبحانه وتعالى وتجلي أحديته في طبقات المخلوقات، اصطفى خالق الكائنات ورب العالمين فرداً متميزاً بمعراجٍ ـ هو كخيطِ اتصال نوراني بين منتهى طبقات كثرة الموجودات الى مبدأ الوحدة ـ متخذاً اياه موضع خطابه، باسم جميع المخلوقات.. معلماً إياه ـ وبه ـ مقاصده الإلهية باسم ذوي الشعور.. ليشهد بنظره جمال صنعته وكمال ربوبيته في مرآة مخلوقاته، ويُشهِد الآخرين آثار الجمال والكمال.

الخبير بكتاب الكون

إذا ما ألّف شخص عليم كتاباً معجزاً بحيث إن كل صحيفة منه تزخر بحقائق ما في مائة كتاب، كل سطر منه يحوي على معاني لطيفة لما في مائة صحيفة، كل كلمة منه تنطوي على حقائق ما في مائة سطر، كل حرف منه يُعبّر عن معاني ما في مائة كلمة.. وكانت جميع معاني ذلك الكتاب وجميع حقائقه تشير إلى الكمالات المعنوية لذلك الكاتب البديع المعجز وتتوجه نحوها..

فإذا كان الأمر هكذا، فلا ريب أن ذلك الكاتب المعجز لا يترك كتابه المعجز

هذا دون فائدة، ولا يغلق أبواب هذه الخزينة التي لا تنفَد، بل محال أن يدعها معطلة لا طائل وراءها.. لذا سيعلّم أفراداً معينين معاني ذلك الكتاب لئلا يبقى ذلك الكتاب القيم مهملاً دون معنى.. ولتظهر كمالاتهُ المخفية. وتجد طريقها إلى الكمال، ويُشاهد جمالَه المعنوي ليُحبَّ ويُحَبِّبَ صاحبه، أي أنه سيعلّم أحداً مفردات ذلك الكتاب، بجميع معانيه وحقائقه، ملقناً إياه درساً درساً من أول صحيفة فيه إلى آخر صحيفة، حتى يمنحه الشهادة عليه.

خيط العلاقة النورانية

إن شجرة الكائنات شبيهة بشجرة طوبى الجنة؛ جذعها وجذورها متوغلة في العالم العلوي، وأغصانها وثمراتها متدلية إلى العالم السفلي؛ لذا فإن هناك خيطاً ذا علاقة نورانية ابتداءً من مقام الثمرة في الأسفل إلى مقام النواة الأصلية.

فالمعراج النبوي صورة وغلاف لخيط العلاقة النورانية ذاك، حيث فتح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ذلك الطريق ودرج فيه بولايته، وعاد برسالته، وترك الباب مفتوحاً، ليسلكه أولياء أمته الذين يتبعونه سلوكاً بالروح والقلب فيدرجوا في تلك الجادة النورانية تحت ظلال المعراج النبوي، ويعرجوا فيها إلى مقامات عالية كل حسب استعداداته وقابلياته.

العالم العلوي والعالم السفلي

إن المعامل المعنوية للعالم السفلي، وقوانينه الكلية، إنما هي في العوالم العلوية. وإن نتائج أعمال ما لا يحد من المخلوقات التي تعمّر الأرض ـ وهي بذاتها محشر المصنوعات ـ وكذا ثمرات الأفعال التي يقوم بها الجن والإنس.. كلها تتمثل في العوالم العلوية أيضاً .

تمثل الحسنات والسيئات

إن إشارات القرآن الكريم، ومقتضى اسم الله " الحكيم " والحكمة المندرجة في الكائنات مع شهادات الروايات الكثيرة وأمارات لا حد لها.. تدلّ على أن الحسنات تتمثل بصورة ثمرات الجنة والسيئات تتشكل بصورة زقوم جهنم .

ما على الأرض يفوق مصنوعات الكون

إن الموجودات الكثيرة قد انتشرت على وجه الأرض انتشاراً عظيماً.. وأنماط الخلقة قد تشعبت عليه إلى درجة كبيرة.. بحيث إن أجناس المخلوقات وأصناف المصنوعات التي تتبدل وتملأ وتخلى منها الأرض تفوق كثيراً المصنوعات المنتشرة في الكون كله .

ثمرات الأذكار

لقد اخبر المخبر الصادق صلى الله عليه وسلم بما معناه: أن التسبيحات والتحميدات التي تُذكر في الأرض تتجسد بصورة ثمرات الجنة .

مثل لثمرات الأقوال والأعمال

لا تقل أيها المستمع: كيف تصبح: " الحمد للّه " التي أتلفظها في الهواء ثمرة مجسمة في الجنة؟ لأنك عندما تلفظ كلمة طيبة وأنت يقظ في النهار قد تتراءى لك في الرؤيا بصورة تفاح لذيذ فتأكله. وكذلك كلامك القبيح نهاراً قد تبلعه في الرؤيا شيئاً مُرّاً علقماً. فإن اغتبت أحداً فإذا بك تُجبر على أكل ميت!.

إذن فكلماتك الطيبة أو الخبيثة التي تتلفظها في عالم الدنيا الذي هو عالم منام، تأكلها ثمراتٍ في عالم الآخرة الذي هو عالم اليقظة، وهكذا ينبغي ألاّ تستبعد أكلك هذا!

شوق الإنسان لمرضاة ربه

إن الإنسان الذي هو في أشد الفاقة إلى مولاه سبحانه وتعالى في كل آن، وفي كل أحواله وشؤونه، وقد نال من أفضاله الكريمة، ونعمه السابغة ما لا يعد ولا يحصى، وهو على يقين من أن الموجودات كلها في قبضة تصرفه سبحانه، وما يتألق من سنا الجمال والكمالات على الموجودات، ما هو إلاّ ظل ضعيف بالنسبة لجماله وكماله سبحانه.. أقول: ترى كم يكون هذا الإنسان مشتاقاً ومتلهفاً لمعرفة ما يرضي هذا الرب الجليل، وإدراك ما يطلبه منه .

من ثمرات المعراج النبوي

الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد أتى بمرضيات رب العالمين وقد سمعها سماعاً مباشراً بحق اليقين من وراء سبعين ألف حجاب، أتى بها ثمرة من ثمرات المعراج وقدّمها هدية طيبة إلى البشرية جمعاء .

شوق الإنسان لمعرفة الغيب

إن الإنسان الذي يتطلع إلى معرفة ماذا يحدث في القمر؟ وإذا ما ذهب أحدهم إلى هناك وعاد فأخبر بما فيه ربما يضحي الكثير لأجل ذلك الخبر، وتأخذه الحيرة والإعجاب كلما عرف أخبار ما هنالك..!!

أقول إن كان وضع الإنسان هكذا مع أخبار مَن ذهب إلى القمر، فكيف تكون لهفته وشوقه لتلقي أخبار مَن يأتي عن مالك الملك ذي الجلال الذي ليس القمر في ملكه إلاّ كذباب يطير حول فراش، يطير ذلك الفراش حول سراج من ألوف السرج التي تضيء مضيفه..

المعراج ومنزلة الإنسان

كما فهم من المعراج أن الإنسان ثمرة قيمة من ثمرات الكائنات جليل القدر، ومخلوق مكرم محبوب لدى الصانع الجليل. هذه الثمرة الطيبة أتى بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالمعراج، هدية إلى الجن والانس، فرفعت تلك الثمرة الإنسان من كونه مخلوقاً صغيراً وحيواناً ضعيفاً وذا شعور عاجز إلى مقام رفيع ومرتبة عالية، بل إلى أرقى مقام عزيز مكرم على جميع المخلوقات. فمنحت هذه الثمرة الإنسان من الفرح والسرور والسعادة الخالصة ما يُعْجَز عن وصفه.

يقينية انشقاق القمر

عندما أعلن القرآن الكريم (انشق القمر) وبلغ صداه الآفاق، لم يجرؤ أحد من الكفار ـ وهم يجحدون القرآن ـ أن يكذّب بهذه الآية الكريمة. أي ينكر وقوع الحادثة. إذ لو لم تكن الحادثة قد وقعت فعلاً في ذلك الوقت، ولم تكن ثابتة لدى أولئك الكفار، لاندفعوا بشدة ليبطلوا دعوى النبوة، ويكذّبوا الرسول صلى الله عليه وسلم .

المعجزة للإقناع لا الإرغام

إن المعجزة تأتي لإثبات دعوى النبوة عن طريق إقناع المنكرين، وليس إرغامهم على الإيمان. لذا يلزم إظهارها للذين سمعوا دعوى النبوة، بما يوصلهم إلى القناعة والاطمئنان إلى صدق النبوة. أما إظهارها في جميع الأماكن، أو إظهارها إظهاراً بديهياً بحيث يضطر الناس إلى القبول والرضوخ فهو منافٍ لحكمة الله الحكيم ذي الجلال، ومخالف أيضاً لسر التكليف الإلهي. ذلك لأن سر التكليف الإلهي يقتضي فتح المجال أمام العقل دون سلب الاختيار منه.

فخر أهل السماوات والأرض

إن خاتم ديوان النبوة صلى الله عليه وسلم وهو القمر المنير لسماء الرسالة، وقد سمَتْ ولايةُ عبوديته إلى مرتبة المحبوبية، فأظهرت الكرامة العظمى والمعجزة الكبرى بالمعراج، أي بجولان جسمٍ أرضي في آفاق السموات العلى، وتعريف أهل السموات به، فأثبتت بتلك المعجزة ولايتَه العظمى لله ومحبوبيته الخالصة له وسمّوه على أهل السموات والملأ الأعلى.. كذلك فقد شق سبحانه القمر المعلق في السماء والمرتبط مع الأرض بإشارة من عبده في الأرض، فأظهر معجزته هذه، إثباتاً لرسالة ذلك العبد الحبيب، حتى أصبح صلى الله عليه وسلم كالفلقين المنيرين للقمر، فعرج إلى أوج الكمالات بجناحَي الولاية والرسالة النورانيين. حتى بلغ قاب قوسين أو أدنى وأصبح فخراً لأهل السموات كما هو فخر لأهل الأرض.

من الكلمة الثانية والثلاثين

مدينة الجسم الإنساني

إن الصانع الحكيم قد خلق جسم الإنسان على هيئة مدينة منسقة ومنتظمة جداً. فقسم من العروق يقوم بمهمة التلغراف والتلفون، وقسم منها بمثابة الأنابيب التي تأتي بالماء من الينابيع فيسير فيها الدم ، ذلك السائل الباعث على الحياة.. والدم نفسه قد خلق فيه قسمان من الكريات، يطلق على إحداهما الكريات الحمراء التي تقوم بتوزيع الأرزاق إلى حجيرات البدن، فتوصل إليها أرزاقها بقانون إلهي مثلما يقوم موظفو الأرزاق وتجّارها بالتوزيع. والقسم الآخر هو الكريات البيضاء التي هي أقل عدداً من الأولى، وتقوم بالدفاع عن الجسم تجاه الأمراض متخذة وضعاً سريعاً عجيباً بنوعين من الدوران والحركة ـ كالمريد المولوي ـ حالما تدخل حومة المعركة.

عيون السماء

كأن السماء تنظر إلى عجائب الصنعة الإلهية في الأرض بما لا يحدّ لها من عيون.. فالنجوم كملائكة السماء تنظر إلى الأرض التي هي محشر العجائب، ومعرض الغرائب ، بل تستقطب أنظار ذوي الشعور إليها.

كتاب الكون

انظر إلى الصحيفة الملونة الزاهية لكتاب الكون.

كيف صوّرها قلم القدرة المذهّب.

لم تبق نقطة مظلمة لأبصار أرباب القلوب.

فكأنه سبحانه قد حرّر آياته من نور.

انظر! ما أعظمها من معجزة حكمة، تقود إلى الإذعان!

وما أسماها من مشاهد بديعة في فضاء الكون!

برهان على الوحدانية

في قوله تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزُّمَر:٣٨]، وقوله تعالى ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم:٢٢]، وأمثالها من الآيات العديدة يعرض القرآن الكريم خلق السموات والأرض برهاناً على الوحدانية بدرجة البداهة. فكل مَن يملك شعوراً مضطر إلى تصديق خالقه في خلقه السموات والأرض كما في قوله تعالى (ليقولُنّ الله).

من تجليات القدرة

ما دمنا نشاهد تجلياً جزئياً واحداً من تجليات صفة الإرادة للأحد الصمد، في مليونٍ من الأمكنة، ويكون مبعث ملايين الأفعال، دون داع إلى وساطة، فلا بد من لزوم اليقين بدرجة الشهود، بقدرة الذات الجليلة على التصرف في شجرة الخلق، بجميع أجزائها وذراتها معاً، بتجلٍ من تجليات قدرته وإرادته سبحانه وتعالى.

مثل للتقريب

إن مخلوقات عاجزة ومسخّرة كالشمس، ومصنوعات شبه نورانية مقيّدة بالمادة كالروحاني، إن كان يمكن أن توجد في موضع واحد وفي عدة مواضع في الوقت نفسه، بسر النورانية؛ إذ بينما هو جزئي مقيّد يكسب حكماً كلياً مطلقاً، يفعل باختيار جزئي أعمالاً كثيرة في آن واحد.. فكيف إذن بمن هو مجرد عن المادة، ومقدّس عنها، ومَن هو منزّه عن التحديد بالقيد وظلمة الكثافة ومبرأ عنها، بل ما هذه الأنوار والنورانيات كلها إلاّ ظلال كثيفة لأنوار أسمائه

الحسنى، وما جميع الوجود والحياة كلها وعالم الأرواح وعالم المثال إلا مرايا شبه شفافة لإظهار جمال ذلك القدوس الجليل الذي صفاته محيطة بكل شيء وشؤونه شاملة كل شيء.

من معجزات الحكمة

البذورُ والاثمارُ، والحبوبُ والازهارُ معجزاتُ الحكمة.. خوارقُ الصنعة.. هدايا الرحمة.. براهينُ الوحدة.. شواهدُ لطفِه في دار الآخرة.. شواهدُ صادقة بأن خلاّقها على كل شيء قدير وبكل شيء عليم. قد وَسِع كل شيء بالرحمة والعلم والخلق والتدبير والصنع والتصوير. فالشمسُ كالبذرة، والنجمُ كالزهرة، والأرض كالحبة، لا تثقل عليه بالخلق والتدبير، والصنُع والتصوير.

منزلة الإنسان

البشر ثمرٌ لهذه الكائنات، فهو المقصود الأظهر لخالق الموجودات. والقلبُ كالنواة، فهو المرآة الأنور ، لصانع المخلوقات من هذه الحكمة. فالإنسان الأصغرُ في هذه الكائنات هو المدار الأظهرُ للنشر والمحشر في هذه الموجودات، والتخريبِ والتبديلِ والتحويلِ والتجديد لهذه الكائنات.

آيات كمال الله

إن جميع أنواع الكمال الموجودة في الكون كله آيات لكمال ذات جليلة وإشارات إلى جماله سبحانه بل جميع الحسن والكمال والجمال ما هو إلا ظل ضعيف بالنسبة لكماله الحقيقي .

مبعث اللذة

إن لذة الشيء وحسنه وجماله يرجع إلى مظاهره أكثر من رجوعه إلى أضداده وأمثاله، فمثلاً: الكرم صفة جميلة لطيفة، فالكريم يتلذذ لذة ممتعة من تلذذ مَن يكرمهم، ويستمتع بفرحهم أكثر ألف مرة من لذة نسبية يحصل عليها من تفوقه على أقرانه من المكرمين. وكذا الشفيق والرحيم، يتلذذ كل منهما، لذة حقيقية بقدر راحة من يشفق عليهم من المخلوقات.

الأسماء الحسنى مستند الحقائق والعلوم

إن في كل شيء وجوهاً كثيرة جداً متوجهة ـ كالنوافذ ـ إلى الله سبحانه وتعالى، بمضمون الآية الكريمة ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٤٤] إذ إن حقائق الموجودات وحقيقة الكائنات تستند إلى الأسماء الإلهية الحسنى، فحقيقة كل شيء تستند إلى اسم من الأسماء أو إلى كثير من الأسماء. وإن الإتقان الموجود في الأشياء يستند إلى اسم من الأسماء، حتى إن علم الحكمة الحقيقي يستند إلى اسم الله " الحكيم " وعلم الطب يستند إلى اسم الله " الشافي " وعلم الهندسة يستند إلى اسم الله " المقدّر " .. وهكذا كل علم من العلوم يستند إلى اسم من الأسماء الحسنى وينتهي إليه، كما أن حقيقة جميع العلوم وحقيقة الكمالات البشرية وطبقات الكمّل من البشر، تستند كلها إلى الأسماء الإلهية الحسنى،.

العاجل والآجل

إن هذا العالم مع أنه فانٍ فإنه يهيئ لوازم العالم الأبدي.. ومع أنه زائل ومؤقت إلا أنه يؤتي ثمرات باقية، ويظهر تجليات رائعة من تجليات الأسماء الحسنى الخالدة.. ومع أن لذائذه قليلة وآلامه كثيرة، إلا أن لطائف الرحمن الرحيم وتكرمه وتفضله هي بذاتها لذات حقيقية لا تزول، أما الآلام فهي الأخرى تولد لذّات معنوية من جهة الثواب الأُخروي. فما دامت الدائرة المشروعة كافية

ليأخذ كل من الروح والقلب والنفس لذّاتها ونشواتها جميعاً، فلا داعي إذن أن تلج في الدائرة غيرالمشروعة، لأن لذة واحدة من هذه الدائرة قد يكون لها ألف ألم وألم، فضلاً عن أنها سبب الحرمان من لذة تكريم الرحمن الكريم، تلك اللذة الخالصة الزكية الدائمة الخالدة.

أيها المؤمن

أيها المؤمن لا تبذل ما تملكه من قابلية غير محدودة للمحبة إلى نفسك التي هي أمارة بالسوء وهي قبيحة ناقصة، وشريرة مضرة لك، ولا تتخذها محبوبتك ومعشوقتك، ولا تجعل هواها معبودك، بل اجعل محبوبك مَن هو أهلٌ لمحبة غير متناهية.. ذلكم القادر على الإحسان إليك إحساناً لا نهاية له، والقادر على إسعادك سعادة لا منتهى لها، بل يسعدك كذلك بما يجزل من إحساناته على جميع مَن ترتبط معهم بعلاقات، فهو الذي له الكمال المطلق والجمال المقدس والمنزّه عن كل نقص وقصور وزوال وفناء.. فجماله لا حدود له وجميع أسمائه جميلة وحسنى.

محبة الوالدين

إن محبتك للوالدين واحترامهما، إنما يعودان إلى محبتك لله سبحانه؛ إذ هو الذي غرس فيهما الرحمة والشفقة حتى قاما برعايتك وتربيتك بكل رحمة وحكمة. وعلامة كونهما محبة لوجه الله تعالى، هي المبالغة في محبتهما واحترامهما عندما يبلغان الكبر، ولا يبقى لك فيهما من مطمع. فتُكثر من الشفقة عليهما والرحمة لهما رغم ما يشغلانك بالمشاكل ويثقلان كاهلك بالمشقة. فالآية الكريمة: ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤]. تدعو الأولاد إلى رعاية حقوق

الوالدين في خمس مراتب، وتبين مدى أهمية برّهما وشناعة عقوقهما..

محبة الزوجة

إن محبة الزوجة وهي رفيقة حياتك، فعليك بمحبتها على أنها هدية أنيسة لطيفة من هدايا الرحمة الإلهية. وإياك ان تربط محبتك لها برباط الجمال الظاهري السريع الزوال، بل أوثقها بالجمال الذي لا يزول ويزداد تألقاً يوماً بعد يوم، وهو جمال الأخلاق والسيرة الطيبة المنغرزة في أنوثتها ورقّتها. وإن أحلى ما فيها من جمال وأسماه هو في شفقتها الخالصة النورانية. فجمال الشفقة هذا، وحُسن السيرة يدومان ويزدادان إلى نهاية العمر. وبمحبتهما تُصان حقوق هذه المخلوقة اللطيفة الضعيفة، وإلاّ تفقد حقوقها في وقت هي أحوج ما تكون إليها، بزوال الجمال الظاهري.

الحب الحرفي والحب الاسمي

اجعل حبك للدنيا وما فيها من مخلوقات بالمعنى (الحرفي) وليس بالمعنى (الاسمي) أي لمعنى ما فيها وليس لذاتها. ولا تقل لشيء: " ما أجمل هذا " بل قل: " ما أجمله خلقاً " أو " ما أجمل خلقه "! وإياك أن تترك ثغرة يدخل منها حبٌ لغير الله في باطن قلبك، فإن باطنه مرآة الصمد، وخاص به سبحانه وتعالى. وقل: اللّهم ارزقنا حبك وحب ما يقرّبنا إليك.

محبة نفسانية وشكر معنوي

إذا ما وجّه الإنسان محبته إلى النعم والفواكه بالذات وتلذذ عن غفلة بلذاتها المادية وحدها، فتلك محبة نفسانية تعود إلى هوى النفس، وتلك اللذات زائلة مؤلمة. أما إذا كانت المحبة متوجهة إلى جهة التكرمة الربانية ونحو ألطاف رحمته سبحانه وثمرات إحسانه، مقدّراً درجات الإحسان واللطف ومتلذذاً بها بشهية كاملة، فهي شكر معنوي، وهي لذة لا تورث ألما.

طبقات المحبة

إن المحبة المتوجهة إلى الأسماء الحسنى لها طبقات: فقد تتوجه بالمحبة إلى الأسماء الحسنى بمحبة الآثار الإلهية المبثوثة في الكون ـ ... ـ وقد تتوجه بالمحبة إلى الأسماء الحسنى لكونها عناوين كمالات إلهية سامية، وقد يكون الإنسان مشتاقاً إلى الأسماء الحسنى لحاجته الماسة إليها، وذلك لجامعية ماهيته وعمومها وحاجاته غير المحدودة، أي يحب تلك الأسماء بدافع الحاجة إليها.

المنعم والكريم

تصور وأنت تستشعر عجزك وحاجتك الشديدة إلى مَن يساعدك ويعينك لإنقاذ مَن تحن عليهم وتشفق على أوضاعهم من الأقارب والفقراء، وحتى المخلوقات الضعيفة المحتاجة، إذا بأحدهم يبرز في الميدان، ويُحسن لأولئك ويتفضل عليهم ويسبغ عليهم نِعَمه بما تريده وترغبه.. فكم تطيب نفسك وكم ترتاح إلى اسمه " المنعم " و " الكريم " .. وكم تنبسط أساريرك وتنشرح من هذين الاسمين .

الرحمن والرحيم

تدبّر في اسمين فقط من الأسماء الحسنى وهما: " الرحمن " و " الرحيم " تجد أن جميع المؤمنين من الآباء والأجداد السالفين وجميع الأحبة والأقارب والأصدقاء، هؤلاء الذين تحبهم وتحن إليهم وتشفق عليهم، يُنعَمون في الدنيا بأنواع من النعم اللذيذة، ثم يُسعَدون في الآخرة بما لذّ وطاب من النعم، بل يزيدهم سبحانه وهو الرحمن الرحيم سعادة ونعيماً بلقاء بعضهم بعضاً وبرؤية الجمال السرمدي هناك.. فكم يكون اسم " الرحمن " و " الرحيم " جديرين إذن بالمحبة؟ وكم تكون روح الإنسان تواقة إليهما؟

الحكيم والمربي

إنك تتعلق بالموجودات المبثوثة على الأرض وتتألم بشقائها، حتى لكأن الأرض برمتها مسكنك الجميل وبيتك المأنوس؛ فإذا ما أنعمت النظر تجد في روحك شوقاً عارماً وحاجة شديدة إلى اسم " الحكيم " وعنوان " المربي " الذي ينظم هذه المخلوقات كافة بحكمة تامة وتنظيم دقيق وتدبير فائق وتربية رحيمة.

المحبة الغافلة

إن أنواع المحبة التي لدى أرباب الغفلة والدنيا والتي لا تنبعث إلاّ لإشباع رغبات النفس، لها نتائج أليمة وعواقب وخيمة من بلايا ومشقات، مع ما فيها من نشوة ضئيلة وراحة قليلة.

فمثلا:الشفقة تصبح بلاءً مؤلماً بسبب العجز، والحب يغدو حُرقة مفجعة بسبب الفراق، واللذة تكون شراباً مسموماً بسبب الزوال.. أما في الآخرة فستبقى دون جدوى ولا نفع، لأنها لم تكن في سبيل الله تعالى، أو تكون عذاباً أليماً إن ساقت إلى الوقوع في الحرام.

حب غير نافع

سؤال:كيف يظل حب الأنبياء الكرام والأولياء الصالحين دون نفع أو فائدة؟

الجواب:مثلما لا ينتفع النصارى المعتقدون بالتثليث من حبهم لسيدنا عيسى عليه السلام، وكذا الروافض من حبهم لسيدنا علي رضي الله عنه!

حساب للزمن

إن ثانية واحدة من لقاء في سبيل الله تعالى تعدل سنة من العمر، بينما سنة من لقاء لأجل الدنيا الفانية لا تساوي ثانية.

تمييز الإنسان

إن الله سبحانه وتعالى، بألوهيته الجليلة، ورحمته الجميلة، وربوبيته الكبيرة، ورأفته الكريمة، وقدرته العظيمة، وحكمته اللطيفة، قد زيّن هذا الإنسان الصغير بحواسَ ومشاعر كثيرة جداً، وجمّله بجوارح وأجهزة وأعضاء مختلفة عديدة؛ ليُشعره طبقات رحمته الواسعة ويذيقه أنواع آلائه التي لا تعد، ويعرّفه أقسام إحساناته التي لا تحصى، ويُطلعه عبر تلك الأجهزة والأعضاء الكثيرة على أنواع تجلياته التي لا تُحد لألف اسم واسم من أسمائه الحسنى، ويحببها إليه، ويجعله يحسن تقديرها حق قدرها. فلكل عضو – من تلك الأعضاء الكثيرة – ولكل جهاز وآلة منها وظائفها المتنوعة وعباداتها المتباينة كما أن لذائذها مختلفة وآلامها متغايرة وثوابها متميز .

شكر العين

العين، تشاهد الجمال في الصور، وترى معجزات القدرة الإلهية الجميلة في عالم الشهود، فتؤدي وظيفتها بتقديم الشكر لله من خلال نظرتها ذات العبرة.

عبادة الأذن

الأذن، تشعر بلطائف الرحمة الإلهية السارية في عالم المسموعات، بسماعها أنواع الأصوات ونغماتها اللطيفة المختلفة. فلها عبادة خاصة بها، ولذة تخصها، وثواب يعود إليها.

وظائف وجزاء

لكل جهاز من أجهزة الإنسان ولكل حاسة وجارحة، ولكل لطيفة من لطائفه المهمة ـ كالقلب والروح والعقل وغيره ـ وظائفها المختلفة، ولذائذها المتنوعة الخاصة بها، فمما لا ريب فيه أن الخالق الحكيم الذي سخّر هذه الأجهزة لتلك الوظائف سيجزي كلاً منها بما يلائمها ويستحقها من جزاء .

نتيجة أخروية لمحبة النعم

إن النتيجة الأخروية للمحبة المشروعة المكللة بالشكر للّه، نحو الأطعمة اللذيذة والفواكه الطيبة في الدنيا، هي تلك الأطعمة والفواكه الطيبة اللائقة بالجنة الخالدة.. كما ينص عليه القرآن الكريم. هذه المحبة، محبة ذات اشتياق واشتهاء لتلك الجنة وفواكهها. حتى إن الفاكهة التي تأكلها في الدنيا وتذكر عليها " الحمد للّه " تتجسم في الجنة فاكهة خاصة بها وتقدّم إليك طيبة من طيبات الجنة. فأنت تأكل هنا فاكهة، وهناك "الحمد للّه " مجسمة في فاكهة من فواكه الجنة.. وحيث إنك تقدم شكراً معنوياً لذيذاً برؤيتك الإنعام الإلهي والالتفات الرباني في الأطعمة والفواكه التي تتناولها هنا، فستسلم إليك هناك في الجنة أطعمة لذيذة وفواكه طيبة، كما هو ثابت في الحديث الشريف وبإشارات القرآن الكريم، وبمقتضى الحكمة الإلهية ورحمتها الواسعة

نتيجة أخروية لمحبة النفس

إن نتيجة المحبة المشروعة نحو النفس، أي محبتها المبنية ـ في الدنيا ـ على رؤية نقائصها دون محاسنها، ومحاولة إكمالها، وتزكيتها ورعايتها بالشفقة والرأفة، ودفعها إلى سبيل الخير، هي إعطاء البارئ عز وجلّ محبوبين يليقون بها وبالجنة، فالنفس التي عافت ـ في الدنيا ـ هواها وشهواتها وتركت رغباتها في

سبيل الله، وأستعمل ما فيها من أجهزة متنوعة على أفضل وجه وأتمه، سيمنحها البارئ الكريم سبحانه ـ مكافأة على هذه المحبة المشروعة المكللة بالعبودية لله.

نتيجة أخروية لمحبة الزوجة

النتيجة الأخروية لمحبة الزوجة المؤسسة على حُسن سيرتها وجميل خصلتها ولطيف شفقتها، والتي تصونها عن النشوز وتجنبها الخطايا والذنوب، فهي:

جعل تلك الزوجة الصالحة محبوبة ومحبة وصديقة صدوقة وأنيسة مؤنسة، في الجنة، جمالُها أبهى من الحور العين، زينتها أزهى من زينتهن، حسنها يفوق حسنهن.. تتجاذب مع زوجها أطراف الحديث، يستذكران أحداث أيام خلت.. هكذا وعد الرحيم الكريم. فما دام قد وعد فسيفي بوعده حتماً.

من الكلمة الثالثة والثلاثين

آية على الوحدانية

إنّ أنواع النبات، وطوائف الحيوان، المنتشرة على الأرض هي أكثر من أربعمائة ألف نوع وطائفة وكأنها جيش هائل عظيم، فنرى أن كل نوع من هذا الجيش له رزقه المختلف عن الآخر وصورته المتباينة، وأسلحته المتنوعة وملابسه المتميزة، وتدريبه الخاص وتسريحه المتفاوت من الخدمة.. وتجري هذه كلها في نظام متقن، ووفق تقدير دقيق.

فإدارة هذا الجيش العظيم، وتربية أفراده، دونما نسيان لأحد ولا التباس، لهي آية ساطعة كالشمس للواحد الأحد.

قطرات المطر

إن " القطرات " المسخرة لحِكَمٍ غزيرة، ولغايات سامية، ومنافعَ جليلة، وفوائد جمّةً، والتي تُرسل من السحب الثقال المعلقة بين السماء والأرض، تدل بعدد القطرات على ذلك الصانع الحكيم، وتشهد على وحدانيته وكمال ربوبيته.

الجبال الراسيات

إن " الجبال " الراسيات، وما في أجوافها من معادن، وما لكلٍ منها من خواص، وما ادّخر فيها من غايات شتى، والمعدّة لمصالح عدة، كل منها على حدة وبمجموعها معاً، تدل دلالة أقوى من الشمّ الرواسي على ذلك الصانع الحكيم وعلى وحدانيته وكمال ربوبيته.

الأزاهير الجميلة

إن أنواع " الأزاهير " الجميلة اللطيفة المنثورة على التلال والروابي والصحارى، وقد أضفى عليها البهاء والجمال، كُلٌّ منها يدل على ذلك الصانع الحكيم ويشهد على وحدانيته، مثلما أن مجموعها العام يدل على عظيم سلطانه وكمال ربوبيته.

أوراق الشجر

إن أنواع " الأوراق " وأشكالها المنسقة، واهتزازاتها اللطيفة الجذابة في النباتات والأشجار والأعشاب كافة تشهد بعدد الأوراق على ذلك الصانع الحكيم، وعلى وحدانيته وكمال ربوبيته.

نمو الأجسام

إن " نمو الأجسام " بخطوات هادفة مطردة، وتجهيز كل منها بأنواع من الأجهزة المتوجهة معاً إلى تكوين الثمار، وكأنه توجُّهٌ شعوري، يجعل كل جسم نامٍ بأجزائه ومجموعه، يشهد لذلك الصانع الحكيم ويشير إلى وحدانيته، ويدل دلالة أعظم على قدرته المحيطة، وحكمته الشاملة، وصنعته الجميلة، وربوبيته الكاملة.

النفس والروح

إن إيداع "النفس" في الجسد، وتمكين "الروح" من كل كائن حيواني بحكمة تامة، وتسليحه بأسلحة متنوعة، وتزويده بأعتدة مختلفة بنظام كامل، وتوجيهه إلى مهمات جليلة، واستخدامه في وظائف متنوعة بحكمة تامة، يشير إشارات بعدد الحيوانات بل بعدد أجهزتها وأعضائها إلى وجود ذلك الصانع الحكيم، ويشهد على وحدانيته، مثلما أن مجموعها الكلي يدل دلالة ساطعة على جمال رحمته وكمال ربوبيته.

الإلهامات الغيبية

إن جميع " الإلهامات " الغيبية التي ترشد قلوب الناس وتُفقِّهها بالعلوم والحقائق، وتُعلّم الحيوان الاهتداء إلى توفير ما يحتاجه من حاجات... هذه الإلهامات الغيبية بأنواعها المختلفة تُشعِرُ كُلّ ذي بصيرة بوجود رب رحيم وتشير إلى ربوبيته.

المشاعر والحواس

إن جميع " المشاعر " المتنوعة والحواس المختلفة ـ الظاهرة منها والباطنة ـ والتي تجني الأزاهير المعنوية من بستان الكون، وكون كل حاسة منها مفتاحاً لعالم من العوالم المختلفة في الكون الواسع، تدل كالشمس على وجود صانع حكيم عليم، وخالق رحيم، ورزاق كريم، وتشهد على واحديته وأحديته وكمال ربوبيته.

النظام والموازنة والزينة

إن ما يبدو عياناً في جميع المصنوعات المبثوثة على صفحات الكون من مظاهر النظام والموازنة التامة، وما يتشكل فيه من صور الزينة والجمال، وما يشاهد من سهولة متناهية في انبعاثها إلى الوجود وتملكها للحياة، وما هي عليه من تشابه بعضها للبعض الآخر في المظاهر أو الماهيات فضلاً عن استجاباتها الفطرية الواحدة للأحداث الكونية.. كل من هذه المظاهر والخصائص دليل واسع سعة الكون على الخالق القدير، وشهادة صادقة قاطعة على وحدانيته سبحانه وقدرته المطلقة.

المركّبات المنتظمة

إن " إيجاد مركبات " منتظمة لا تعد ولا تحصى من عناصر جامدة بسيطة التركيب، يشهد شهادة قاطعة بعدد المركبات على ذلك الخالق القدير الواجب الوجود سبحانه، ويشير إشارة صريحة إلى وحدانيته، فضلاً عن أن مجموعها العام يبين بياناً باهراً كمال قدرته ووحدانيته.

التمايز والافتراق

إن ما يشاهد من " تمايز " واضح و " افتراق " كامل أثناء تجدد الموجودات ـ بالتحليل والتركيب ـ رغم كونها في منتهى الاختلاط والامتزاج يدل دلالة واضحة على ذلك الحكيم المطلق الحكمة، والعليم المطلق العلم، والقدير المطلق القدرة، ويشير إلى وجوب وجوده سبحانه وكمال قدرته.

تسخير الذرات

إن تسخير " ذرات " جامدة عاجزة جاهلة للقيام بمهام في غاية الانتظام والشعور والقدرة والحكمة، وجعل " عالم الذرات " ما يشبه مزرعة عظيمة هائلة تزرع فيها كل حين عوالم، وتحصد أخرى بحكمة تامة.. كلها دلائل واضحة على وجوب وجود ذلكم القدير ذي الجلال، وذلكم الخالق ذي الكمال، وتشهد شهادة قوية على كمال قدرته، وعظيم ربوبيته، وعلى وحدانيته وكمال ربوبيته.

الأنبياء والأولياء والعلماء

إن جميع الأنبياء عليهم السلام الذين هم أصحاب الأرواح النيّرة في النوع الإنساني مستندين إلى معجزاتهم الظاهرة الباهرة، وجميع الأولياء الذين يمثلون أقطاب القلوب المنورة معتمدين على كشفياتهم وكراماتهم، وجميع الأصفياء العلماء الذين يمثلون أرباب العقول النورانية مستندين إلى

تحقيقاتهم العلمية.. يشهدون جميعاً على وجوب وجود الواحد الأحد الخالق لكل شيء، ويدلون على كمال ربوبيته ووحدانيته.

العبادات المقبولة

إنّ جميع العبادات المقبولة التي يتعبد بها الكاملون من الناس، وما ينبعث من تلك العبادات المُرضية من فيوضات ومناجاة ومشاهدات وكشفيات، جميعها تدل دلالة قوية جداً على ذلك الموجود الباقي، وذلك المعبود الأبدي وعلى أحديته وكمال ربوبيته.

التعاون والتساند

إن معاونة الموجودات بعضها للبعض الآخر وتجاوبها فيما بينها، وتساندها في الوظائف والواجبات.. يدل على أن كل المخلوقات تحت تربية ورعاية مُربٍّ واحد أحد. وأن الكل تحت أمر مدبر واحد أحد.. وأن الكل تحت تصرف واحد أحد.. ذلك لأن " دستور التعاون " بين الموجودات، يجري ابتداءً من الشمس، التي تهيئ بأمر الله لوازم الحياة للأحياء، ومن القمر الذي يعلمنا المواقيت، وانتهاءً إلى إمداد الضوء والهواء والماء والغذاء لذوي الحياة، وإمداد النباتات للحيوانات، وإمداد الحيوانات للإنسان، بل حتى إمداد كل عضو من أعضاء الجسم للآخر، وإمداد ذرات الغذاء لحجيرات الجسم.. فخضوع هذه الموجودات الجامدة الفاقدة للشعور وانقيادها لدستور التعاون وارتباطها معاً ارتباط تفاهم وتجاوب في منتهى الحكمة، وفي منتهى الإيثار والكرم، وجعل كل منها يسعى لإغاثة الآخر وإمداده بلوازم حياته، ويهرع لقضاء حاجياته وإسعافه، تحت ظل قانون الكرم وناموس الرأفة، ودستور الرحمة.. كل ذلك يدل بداهة على أن جميعها مخلوقات مأمورات ومسخرات عاملات للواحد الأحد، الفرد الصمد، القدير المطلق القدرة، والعليم المطلق العلم، والكريم المطلق الكرم.

معرفة الخالق طريق النجاة

إنه لا خلاص للقلوب والأرواح من قبضة القلق الرهيب، ومن دوامات الاضطراب والخوف، ومن ظمأ الضلالة وحرقة نار البعد عن الله إلاّ بمعرفة خالق واحد أحد.. إذ ما إن يُسلَّم أمر القلوب والأرواح، وأمر كل الموجودات إلى خالق واحد أحد حتى تجد راحتها، وتحظى بخلاصها من عناء تلك الزلازل النفسية المدمّرة وتسكن من ذلك القلق وتستقر وتطمئن.

إشكال الشرك

إن لم يُسنَد أمر الموجودات كافة إلى واحد أحد، فسَيُحالُ خلق كل شيء إذن إلى ما لا يُحدُّ من الأسباب.. وعندها يكون إيجاد شيء واحدٍ مشكلاً وعويصاً كخلق الموجودات كلها .

كمال القدرة وكمال الحكمة

تأمّل فيما يحويه جسمك وأعضاؤك أيها الإنسان من حدود متعرجة والتواءات دقيقة.. وتأمل في فوائدها ونتائج خدماتها وشاهد كمال القدرة في كمال الحكمة.

كل شيء مفتقر إلى الله

إن كل شيء في كل شأنٍ من شؤونه، مفتقرٌ إلى الخالق الواحد الأحد ذي الجلال. فبإلقاء نظرة فاحصة على ما هو منبسط بين أيدينا من موجودات الكون، نشاهد مظاهرَ قوةٍ مطلقة تنضح من خلال ضعفٍ مطلقٍ مشاهَدٍ.. ونشاهد آثارَ قدرة مطلقة تَبين من بين ثنايا عجز مطلقٍ ملموس. كالحالات الخارقة التي تظهرها بذور النباتات وأصولها أثناء نموها وانتباه العقد الحياتية فيها.

إحكام خلق الأشياء

إن كُلّ شيء قد فصّل على قدّ قامة ماهيته، تفصيلاً متقناً، ووُزنَ بميزان دقيق كامل الوزن عليها، ونُظم تنظيماً تاماً فيها، ونُسق تنسيقاً بارعاً، وصُنع بمهارة، وأُلبس أجمل صورة، وألطف ثوب، وأبهى طراز، من أقرب طريق إليه، وأسهل شكل يُعينه على أداء مهمته، ووُهب له وجود ينضح حكمةً، لا عبث فيه ولا إسراف.

انتظام الخلق والتدبير

إن ما يشاهد على سطح الأرض من انتظام واطراد في خلق المخلوقات، وتدبير أمورها، وتجديدها باستمرار في كل موسم، يدل بالبداهة على حكمة عامة تغمر الموجودات. هذه الحكمة العامة تدل بالضرورة على حكيم مطلق الحكمة، إذ لا صفة دون موصوف.

الزينة والحكمة والعناية

إن أنواع الزينة البديعة التي تؤطر ستار الحكمة العامة الذي يتلفع الوجود به، تدل بالبداهة على عناية فائقة عامة، وهذه العناية تدل بالضرورة على خالق كريم .

اللطف والكرم والرفق والإحسان

إن أنواع اللطف والكرم، وألوان الرفق والإحسان المرسومة على ستار العناية الذي يغطي الوجود كله، تدل بالبداهة على رحمة واسعة، وهذه الرحمة الواسعة تدل بالضرورة على " الرحمن الرحيم " .

أنواع الرزق والإعاشة

إن أنواع الرزق، وأنماط الإعاشة، المزهرة على أغصان الرحمة التي تظلل بأفنانها كُلّ شيء، والمعدّة للأحياء المحتاجة إلى الرزق، وإعاشتها إعاشة تلائمها تماماً، يدل بالبداهة على رزاقية ذات تربية ورعاية.. وربوبية ذات رأفة ورحمة.

ألسنة ناطقة

نعم، ما على الأرض من مخلوقات تُربّى بحكمة كاملة، وتُزيّن بعناية كاملة، وتُسبغ عليها النعم برحمة كاملة، وتُمدُّ بوسائل عيشها برأفة كاملة، فكُلٌّ منها لسان ناطق ومشير إلى الله الحكيم، الكريم، الرحيم، الرزّاق.

أدلة على الكمال

إن البِنَاءَ يدُلُّ على صنعة البنّاء وفِعله. والفعل الكامل المتقن يدل بالضرورة على فاعلٍ حاذقٍ، ومعماري ماهر. وهذه العناوين؛ فاعل حاذق معماري ماهر بَنّاء مُتْقِنٌ، تدل بالبداهة على صفات كاملة لا نقص فيها يتصف بها ذلك الفاعل، أي تدل على مَلَكة الإبداع عنده. وإن الصفات الكاملة ومَلَكة الإبداع الكاملة، تدل بالبداهة على وجود استعداد كامل وقابلية تامة، والاستعداد الكامل هذا يدل على ذات رفيعة، وروح عالية. " ولله المثل الأعلى " فهذه الآثار المتجددة البادية للعيان والتي تملأ الأرض بل الكون، تدل بالبداهة على أفعال في منتهى الكمال.

شواهد ناطقة

مثلما أودع الصانع الجليل حكماً لا تُعَدُّ، ومعاني ساميةً لا تحصى في الأجرام السماوية، فزيّن تلك السماوات بكلمات الشموس والأقمار والنجوم لتعبّر عن جلاله وجماله سبحانه.. كذلك ركّب جلّ وعلا في موجودات جو السماء حِكَماً عالية، وعلّق عليها معاني سامية، ومقاصد عظمى، وأنطق جو السماء بكلمات

الرعود والبروق وقطرات الأمطار ليُعْلَمَ بها، ويُعَرّفَ عن طريقها كمال حكمته، وجمال رحمته.

كلمات النباتات والأشجار

مثلما جعل سبحانه وتعالى كرة الأرض تتكلم بكلماتٍ ذات مغزى، وأنطَقَها بما بثّ فيها من الحيوانات والنباتات التي هي كلمات بليغة، مبيّناً بذلك كمال صنعته للوجود.. كذلك جعل النباتات والأشجار نفسها تنطق بلسان أوراقها وأزهارها وثمارها، معلنةً كمال صنعته سبحانه، وجمال رحمته جلّ جلاله.. وجعل الزهرة أيضاً، والثمرة كذلك وهي كلمة واحدة من تلك الكلمات.. جعلها البارئ المصور تتكلم بلسان بُذيراتها الدقيقة فأشار بها سبحانه الى دقائق صنعته، وكمال ربوبيته، لمن يُحسن الرؤية من ذوي الإحساس والشعور.

لا للمصادفة

كما يُشاهَدُ كمال الحكمة، وجمال الإتقان في الجزئيات والفرعيات، وفي النتائج والفوائد، فإن العناصر الكلية، والمخلوقات العظيمة التي تبدو مختلطة ومتشابكة، وتوهِمُ أنها لعبة المصادفة، تتخذ أيضاً أوضاعاً تتسم بالحكمة والإتقان، رغم الاختلاط الظاهر عليها.

ظل الجمال السرمدي

إن أنواع الجمال الزاهر، وأشكال الحسن الباهر، التي تتلألأ على وجوه الكائنات السريعة الأفول، ثم تتابع هذا الجمال وتجدده بتجدد هذه الكائنات، واستمراره باستمرار تعاقبها.. إنما يظهر أنه ظِلٌ من ظلال تجليات جمال سرمدي لا يحول ولا يزول. تماماً كما أن تلألؤ الحباب على وجه الماء الرقراق،

وتتابع هذا اللمعان في تتابع الحباب يدل على أن الحباب والزبد والتموجات التي تطفو على سطح الماء إنما تمثل مرايا عاكسة لأشعة شمسٍ باقية.

جذبات القلوب

إنّ ما تمور به قلوب اليقظين الراشدين من أصفياء الناس، وما يشعرون به من انجذاب، وما يؤرقهم من وَجْد، وما يحسون به من جذبات، وما تتدفق به صدورهم من توق وحنين، إنما يدل على أن حنايا ضلوع الكون تعاني ما يعاني الإنسان، وتكاد تتمزق من شدة انجذابها وعظيم جذباتها، التي تتظاهر بصور متنوعة. وهذا الجذب لا ينشأ إلاّ من جاذب حقيقي، وجاذبية باقية أبدية.

نوافذ الجمال والجلال

فالجمال الذي يشع من وجه الكون.. والعشق الذي يخفق به قلبه.. والانجذاب الذي يمتلئ به صدره.. والكشف والشهود الذي تبصره عينه.. والروعة والإبداع في مجموع الكون كله.. يفتح نافذة لطيفة جداً ونورانية ساطعة أمام العقول والقلوب اليقظة، يتجلى منها ذلك الجميل ذو الجلال، الذي له الأسماء الحسنى، وذلك المحبوب الباقي والمعبود الأزلي.

الأسباب والنتائج

كما أن الابداع الظاهر على " المسبّبات " وروعة جمالها قد عَزَلت الأسباب وسلبتها قدرة الخلق، ودلّتنا بلسان حالها على مسبّب الأسباب، وسلّمتْ الأمور كلها بيد الله كما جاء في الآية الكريمة: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود:١٢٣]، كذلك النتائج التي نيطت بالمسبّبات، والغايات الناشئة والفوائد الحاصلة منها، تظهر جميعاً بداهةً أن وراء حجاب الأسباب ربّاً كريماً، حكيماً، رحيماً، وأن ما نراه من أشياء ليست إلاّ من صنعه وإبداعه سبحانه.

حكمة ونظام

لو نتأمل في هذه الكائنات فسنشاهد أنّ في كل شيء ابتداءً من حجيرات الجسم وانتهاءً بمجموع العالم كله، حكمة شاملة، ونظاماً متقنا .

أختام تدل على الله

كما أن كلّ ختم على أية رسالة يشير إلى صاحبها، فكل شيء كالختم يُسنِد جميعَ الأشياء التي تحيط به إلى خالقه الرحيم، وكأنه ختم رحماني. فكل شيء من حوله يمثل رسالةً لخالقه الرحيم.

وهكذا، فما من شيء إلاّ ويغدو نافذة توحيد عظيمة إلى حد يسلّم جميع الأشياء إلى الواحد الأحد... كل شيء ـ ولا سيما الأحياء ـ يملك من النقوش الحكيمة والإتقان البديع بحيث إن الذي خلقه على هذه الصورة البديعة قادرٌ على خلق جميع الأشياء، أي أن الذي لا يستطيع أن يخلق جميع الأشياء لا يمكن أن يخلق شيئاً واحداً.

شهادات لاتكتم

أيها الغافل!

تأمل في وجه الكائنات تجد أن صحيفة الموجودات ما هي إلاّ بمثابة رسائل متداخلة بعضها في البعض الآخر، مبعوثة من قبل الأحد الصمد. وأن كل رسالة منها قد خُتِمَتْ بما لا يُعدُّ من أختام التوحيد.تُرى مَنْ يجرؤ على تكذيب شهادات هذه الأختام غير المتناهية؟ أية قوة يمكنها أن تكتم أصوات هذه الشهادات الصادقة؟ وأنت إذا ما أنصتّ بأذن القلب لأيٍ منها تسمعها تردد: اَشْهَدُ اَنْ لآ اِلهَ اِلاّ الله.

لا رب سوى الله

لئن كان الإنسان الذي هو عاجز ومحتاج إلى معاونة الآخرين، والذي يحمل ظلاً جزئياً ضعيفاً من الآمرية أو الحاكمية، لا يقبل مداخلة أحدٍ من مثيله في شؤونه، ويردُ المنافس رداً شديداً. نعم، لئن كان الإنسان العاجز هذا شأنه فكيف بآمرية القدير المطلق وحاكمية السلطان الأعظم ربّ العالمين.؟

تبدل العوالم وتجددها

إن الكون حادث، حيث نشاهد في كل عصر وفي كل سنة بل في كل موسم عالَماً يرحل ويحطُّ آخرُ مكانه، تمضي كائنات، وتأتي أخرى. فالقدير ذو الجلال هو الذي يوجِد هذا العالم من العدم في كل سنة، بل في كل موسم، بل في كل يوم، ويعرضه أمام أرباب الشعور ثم يأخذه إلى الغيب، ويأتي مكانه بآخر، وهكذا ينشر الواحدَ تلو الآخر في تعاقب مستمر، معلقاً تلك العوالم بشكل متسلسل على شريط الزمان.

فترى الربيع معجزة باهرة من معجزات القدير الجليل، يُوجِدُ فيه الأشياء من " العدم " ويجدد تلك العوالم الشاسعة من غير شئ مذكور. فالذي يبدل تلك العوالم، ويجددها ضمن العالم الأكبر، ليس إلاّ رب العالمين الذي بسط سطح الأرض مائدةً عامرةً لضيوفه الكرام.

الإنسان دليل على الله

كما أن الظلام سبب لرؤية النور، أي أن ظلام الليل وشدّته يبين النور ويظهره بشكل أكثر وضوحاً.. فالإنسان أيضاً يُعرِّف بضَعفه وعَجزه وبفقره وحاجاته، وبنقصه وقصوره، قدرةَ القدير ذي الجلال، وقوتَهُ العظيمة، وغناه المطلق، ورحمته الواسعة.

مرآة للأسماء الحسنى

إن الإنسان مرآة لتجليات الأسماء الحسنى، إذ إن ما وهِبَ من نماذج جزئية من "العلم، والقدرة، والبصر، والسمع، والتملك، والحاكمية" وأمثالها من الصفات الجزئية، يصبح مرآة عاكسة يُعرَف منها الصفات المطلقة لله سبحانه وتعالى، وإدراك علمه وقدرته وبصره وسمعه وحاكميته وربوبيته، فيفهم تلك الصفات المطلقة للربوبية بالنسبة لمحدوديتها عنده .

نقوش الأسماء الحسنى

يبين الإنسان من كونه مخلوقاً، اسمَ الصانع "الخالق" ويُظهر من حسن تقويمه اسمَ "الرحمن الرحيم" ويدلّ من كيفية تربيته ورعايته على اسم "الكريم" واسم "اللطيف". وهكذا يُبرز الإنسان نقوشاً متنوعة ومختلفة للأسماء الحسنى المتنوعة بجميع أعضائه وأجهزته، وجوارحه وبجميع لطائفه ومعنوياته، وبجميع حواسه ومشاعره.

النقش الأعظم

كما أن في الأسماء الحسنى اسماً أعظم لله تعالى، فهناك نقش أعظم في نقوش تلك الأسماء وذلك هو الإنسان.

رب كل شيء

هو سبحانه يفعل ما يشاء في آن واحد، فلا يؤوده شيء ولا يحتجب عنه شيء، ولا يمنع منه شيء شيئاً، ولا يُشغله شيء عن شيء. يرى الكل في آن واحد، ويسمع الكل في آن واحد. فالقريب والبعيد لديه سواء، إذا أراد شيئاً يسوق له كُلّ شيء، يبصر كُلّ شيء من أي شيء كان، يسمع أصوات كل شيء، ويعرف كلّ شيء بكل شيء، فهو ربٌّ كل شيء.

برهان التوحيد الناطق

إن الرسول الأكرم عليه أفضل الصلاة والسلام، الذي هو برهان التوحيد الناطق، قد أعلن التوحيد وأظهره بجلاء، وبيّنه للبشرية أبلغ بيان، في جميع سيرته العطرة،وبكل ما وهبه الله من قوة، فهو الذي يملك بجناحي الرسالة والولاية قوة إجماع وتواتر جميع الأنبياء الذين أتوا قبله، وقوة تواتر وإجماع جميع الأولياء والأصفياء الذين أتوا بعده. وفتح بهذه القوة الهائلة نافذة واسعة عظيمة سَعَة العالم الإسلامي إزاء معرفة الله سبحانه،

الكون بذاته برهان عظيم

لسان الغيب ولسان الشهادة يسبّحان بالتوحيد، توحيد الرحمن. ويذكُران بصوت هائل:(لا إله إلاّ هو).

فكل ذرات الكون، وحجيراته، وأركانه، وأعضائه؛ لسان ذاكر يلهج مع ذلك الصوت الداوي بـ:(لا إله إلا هو).

في تلك الألسنة تنوّع، وفي تلك الأصوات مراتب، إلاّ أنها تنطلق معاً بـ: (لا إله إلاّ هو).

هذا الكون إنسان أكبر.. يذكر ربّه بصوت عالٍ، والأصوات الرقيقة لأجزائه وذراته كلها تدوي مع ذلك الصوت الهادر:(لا إله إلاّ هو).

نعم إن هذا العالم يتلو آيات القرآن في حلقة ذكر عظيمة.

من اللوامع

السبب ظاهري بحت

تقتضي عزة الألوهية وعظمتها، أن تكون الأسباب الطبيعية أستاراً بين يدي قدرته تعالى أمام نظر العقل.

ويقتضي التوحيد والجلال، أن تسحب الأسبابُ الطبيعية يدَها عن التأثير الحقيقي في آثار القدرة الإلهية .

الوجود غير منحصر في العالم الجسماني

إن أنواع الوجود المختلفة التي لا تحصى، لا تنحصر في هذا العالم، عالم الشهادة،فالعالم الجسماني (المادي) شبيه بستار مزركش ملقىً على عوالم الغيب المنورة .

الاتحاد في قلم القدرة يعلن التوحيد

إن ظهور أثر الإبداع في كل زاوية من زوايا الفطرة يردّ ـ بالبداهة - إيجاد الأسباب لها.

إن نقش القلم نفسه والقدرة عينها، في كل نقطة في الخلقة، يرفض ـ بالضرورة ـ وجود الوسائط.

تساند الكائنات

إن سر التساند والترابط، المستتر في الكائنات كلها، المنتشر فيها.. وكذا انبعاث روح التجاوب والتعاون من كل جانب.. يبين:

أنه ليست إلاّ قدرة محيطة بالعالم كله، تخلق الذرة وتضعها في موضعها المناسب.

فكل حرف وكل سطر من كتاب العالم، حيّ، تسوقه الحاجة، وتعرّف الواحد الآخر، فيُلبي النداء أينما انطلق.

وبسر التوحيد تتجاوب الآفاق كلها، إذ توجّه القدرة كل حرف حي إلى كل جملة من جمل الكتاب وتبصّرها.

الشمس وتوابعها

الشمس شجرة مثمرة، تنتفض لئلا تسقط ثمارها السيارات المنتشية المنجذبة إليها.. ولو سكنتْ بصمتها وسكونها لزالت الجذبةُ، وتبخرت النشوةُ، وبكتْ ـ شوقاً إليها ـ مجاذيبُها السيارات المنتظمة في الفضاء الوسيع.

الأشياء الصغيرة مربوطة بالكبيرة

إن الذي خلق عين البعوضة، هو الذي خلق الشمس ودرب التبانة.. والذي نظّم معدة البرغوث هو الذي نظّم المنظومة الشمسية.. والذي أدرج الرؤية في العين وغرز الحاجة في المعدة هو الذي كحّل عين السماء بإثمد النور وبسط سفرة الأطعمة على وجه الأرض.

في نظم الكون إعجاز عظيم

شاهد الإعجاز في تأليف الكون؛ فلو أصبح كلُ سببٍ من الأسباب الطبيعية فاعلاً مختاراً مقتدرا ـ بفرضٍ محال ـ لسجدتْ تلك الأسبابُ عاجزةً ذليلةً أمام ذلك الإعجاز قائلة: سبحانك.. لا قدرة فينا.. ربنا أنت القدير الأزلي ذو الجلال.

كل شيء أمام القدرة سواء

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [لقمان:٢٨] .

القدرة الإلهية ذاتية وأزلية لا يتخللها العجز أصلاً، فلا مراتب فيها، ولا

تداخلها العوائق قطعاً، فالكل والجزء إزاءها سواء، لا يتفاوتان؛ لأن كل شيء مرتبط بالأشياء كلها،فمن لا يقدر على خلق كل الأشياء لا يقدر على خلق شيء واحد.

مَن لم يقبض على زمام الكون كلّه لا يقدر على خلق ذرة

إن من لا يملك قبضة قوية يرفع بها أرضنا والشموس والنجوم التي لا تحصى، ويضعها على هامة الفضاء، وفوق صدره، بانتظام وإتقان، ليس له أن يدّعي الخلق والإيجاد قطعاً.

إحياء النوع كإحياء الفرد

كما أن إحياء ذبابة غطت في نومٍ شبيه بالموت في الشتاء، ليس عسيراً على القدرة الإلهية، كذلك إحياء هذه الدنيا بعد موتها، بل إحياء ذوي الأرواح قاطبة، سهلٌ ويسير عليها.

الطبيعة صنعة إلهية

الطبيعة ليست طابعة، بل مطبع.. ولا نقاشة بل نقش، ولا فاعلة بل قابلة للفعل.. ولا مصدراً، بل مسطر.. ولا ناظماً بل نظام.. ولا قدرة بل قانون،فهي شريعة إرادية، وليست حقيقة خارجية.

الوجدان يعرف الله بوَجْده ونَشوته

في الوجدان انجذاب وجذب، مندمجان فيه دوماً، لذا ينجذب، والانجذاب إنما يحصل بجذبٍ جاذبٍ.

وذو الشعور ينجذب انجذاباً، إذا ما بدا ذو الجمال وتجلّى ببهاء دون حُجُب.

هذه الفطرة الشاعرة تشهد شهادة قاطعة على الواجب الوجود ذي الجلال والجمال. شاهدها الأول ذلك الجذب.. والآخر ذلك الانجذاب.

النبوة ضرورية للبشرية

إن القدرة الإلهية التي لا تترك النمل من دون أمير، والنحل من دون يعسوب، لا تترك حتماً البشر من دون نبي، من دون شريعة.نعم هكذا يقتضي سرُّ نظام العالم.

الوجود بلا حياة كالعدم

الضياء والحياة، كلاهما كشّافان للموجودات، إن لم يكن هناك نور الحياة، فالوجود معرّض للعدم، بل هو كالعدم.

نعم! إن ما لا حياة فيه غريب، يتيم، حتى لو كان قمراً.

النملة بالحياة أكبر من الأرض

إذا وازنت النملة بميزان الوجود، فالكون الذي تنطوي عليه النملة بسر الحياة، لا تسعه كرتنا الأرضية.

فلو قارنا هذه الكرة الأرضية - التي أراها حية ويراها البعض ميتة - مع النملة، فإنها لا تعدل نصف رأس هذا الكائن المجهز بالشعور.

المبُطل يأخذ الباطل بظن الحق

إن الإنسان يقصد الحق ويتحراه دوماً، لما يحمل من فطرة مكرّمة، وقد يعثر على باطل فيظنه حقاً ويحافظ عليه، وقد يقع عليه الضلالُ من دون اختيار وهو ينقّب عن الحقيقة، فيظنه حقاً ويصدّقه .

مرايا القدرة كثيرة

إن مرايا القدرة الإلهية كثيرة جداً، كلٌ منها يفتح نوافذ أشفّ وألطف من الأخرى إلى عالم من عوالم المثال.

فابتداءً من الماء إلى الهواء، ومن الهواء إلى الأثير، ومن الأثير إلى عالم المثال، ومن عالم المثال إلى عالم الأرواح، ومن عالم الأرواح إلى الزمان، ومن الزمان إلى

الخيال، ومن الخيال إلى الفكر، كلها مرايا متنوعة تتمثل فيها الشؤون الإلهية السيالة. فتأمل بأذنك في مرآة الهواء ترَ الكلمة الواحدة تصبح مليوناً من الكلمات.

هكذا يسطّر قلمُ القدرة الإلهية سرّ هذا التناسل والاستنساخ العجيب.

لا يُلقَّن مالا يُستوعب من علم

إن العالم المرشد الحقيقي يهب للناس علمه في سبيل الله دون انتظار عوض ويصبح كالشاة لا كالطير، فالشاة تُطعم بَهْمتها لبناً خالصاً والطير تلقم فراخها قيئها المليء باللعاب.

التخريب أسهل والضعيف يكون مخرّباً

إن وجود الشيء يتوقف على وجود جميع أجزائه، بينما عدمه يحصل بانعدام جزءٍ منه، لذا يكون التخريب أسهل ،ومن هنا يميل الضعيفُ العاجز إلى التخريب وارتكابِ أعمال سلبية تخريبية ،بل لا يدنو من الإيجابية أبداً.

ينبغي للقوة ان تخدم الحق

إن لم تمتزج دساتير الحكمة ونواميس الحكومة وقوانين الحق وقواعد القوة بعضها ببعض ولم يستمد كل من الآخر ولم يستند إليه، فلا تكون مثمرة ولا مؤثرة لدى جمهور الناس، فتُهمَل شعائر الشريعة وتعطّل، فلا يستند إليها الناس في أمورهم ولا يثقون بها.

الشيء يتضمن ضدّه أحياناً

سيكون زمان يُخفي الضدُّ ضدّهُ، وإذا باللفظ ضد المعنى في لغة السياسة. وإذا بالظلم يلبس قلنسوة العدالة، وإذا بالخيانة ترتدي رداء الحمية بثمن زهيد، ويُطلق اسم البغي على الجهاد في سبيل الله ويسمّى الأسر الحيواني والاستبداد الشيطاني حرية. وهكذا تتماثل الأضداد، وتتبادل الصور، وتتقابل الأسماء، وتتبادل المقامات المواضعَ.

السياسة الدائرة على المنفعة وحش رهيب

إن السياسة الحاضرة الدائرة رحاها على المنافع وحشٌ رهيبٌ، فالتودد إلى وحش جائع لا يدرّ عطفه بل يثير شهيته، ثم يعود ويطلب منك اجرة أنيابه وأظفاره!

تتعاظم جناية الإنسان لعدم تحدد قواه

إن القوى المودعة في الإنسان لم تُحدد فطرةً خلافاً للحيوان، فالخير والشر الصادران عنه لا يتناهيان. فإذا ما اقترن غرورٌ من هذا وعنادٌ من ذاك، يولدان ذنباً عظيما إلى حد لم يعثر له البشر على اسم. إن هذا دليل على وجود جهنم، إذ لا جزاء له إلاّ النار.

ومثلا: يتمنى أحدُهم أن تحل بالمسلمين مصيبة كي يظهر صدق كلامه وصواب تنبئِه!!.

ولقد أظهر هذا الزمان أيضاً: أن الجنة غالية ليست رخيصة وأن جهنم ليست زائدة عن الحاجة.

إن لم تكن للجماعة غاية وهدف فالأنانية تقوى

إن لم يكن لفكر الجماعة غاية وهدف مثالي، أو نُسيت تلك الغاية، أو تنوسيت، تحولت الأذهان إلى أنانيات الأفراد وحامت حولها.

اي:يتقوى " أنا " كل فرد، وقد يتحدد ويتصلب حتى لا يمكن خرقه ليصبح " نحن " فالذين يحبون " أنا " أنفسهم لا يحبون الآخرين حباً حقيقياً.

انتعاش الاضطرابات بموت الزكاة وحياة الربا

إن معدن جميع أنواع الاضطرابات والقلاقل والفساد وأصلها، وإن محرك جميع أنواع السيئات والأخلاق الدنيئة ومنبعها كلمتان اثنتان أو جملتان فقط:

الكلمة الاولى: إذا شبعتُ أنا فمالي إن مات غيري من الجوع

الكلمة الثانية: تحمّل أنتَ المشاق لأجل راحتي، اعمل أنت لآكل أنا، لك المشقة وعليّ الأكل.

والداء الشافي الذي يستأصل شأفة السم القاتل في الكلمة الأولى هو: الزكاة، التي هي ركن من أركان الإسلام.

والذي يجتث عرق شجرة الزقوم المندرجة في الكلمة الثانية هو: تحريم الربا.

فإن كانت البشرية تريد صلاحاً وحياة كريمة فعليها أن تفرض الزكاة وترفع الربا.

على البشرية قتل جميع أنواع الربا إن كانت تريد الحياة

لقد انقطعت صلة الرحم بين طبقة الخواص والعوام، فانطلقت من العوام أصداء الاضطرابات وصرخات الانتقام،ونفثات الحسد والحقد، ونزلت من الخواص على العوام نار الظلم والإهانة وثقل التكبر ودواعي التحكم.

بينما ينبغي أن يصعد من العوام: الطاعة والتودد والاحترام والانقياد، بشرط أن ينزل عليه من الخواص: الإحسان والرحمة والشفقة والتربية.

فإن ارادت البشرية دوام الحياة فعليها أن تستمسك بالزكاة وتطرد الربا.

إذ إن عدالة القرآن واقفة بباب العالم وتقول للربا: ممنوع، لا يحق لك الدخول، ارجع!

الطريق غير المشروع يؤدي إلى خلاف المقصود

(القاتل لا يرث) دستور عظيم . إن الذي يسلك طريقاً غير مشروع لبلوغ مقصده، غالباً ما يجازى بخلاف مقصوده.. فمحبة أوروبا غير المشروعة وتقليدها والألفة بها كان جزاؤها العداء الغادر من المحبوب! وارتكاب الجرائم.

نعم، فالفاسق محروم لا يجد لذةً ولا نجاة.

العجز والجزع شأن الضعفاء

إن رمت الحياة، فلا تتشبث بالعجز فيما يمكن حلّه.وإن رمت الراحة فلا تستمسك بالجزع فيما لا علاج له.

قد يؤدي الشيء الصغير إلى عظائم الأمور

ستكون هناك أحوال، بحيث إن حركة بسيطة عندها تسمو بالإنسان إلى أعلى عليين.

وكذا تحدث حالات، بحيث إن فعلاً بسيطاً يردي بصاحبه إلى اسفل سافلين.

آن واحد يعدل سنة عند بعضهم :

فطرة الإنسان قسمان: قسم يسطع في الحال، وقسم آخر يتألق بالتدرج، ويسمو رويداً رويداً.

فطبيعة الإنسان تشبه كليهما معاً. وهي تتبدل حسب الشروط والأحوال.

فتمضي أحياناً بشكل تدريجي، وأحياناً تتفجر ناراً مضيئة تفجر البارود الأسود.

ورب نظرة تحول الفحم ألماساً.

وربّ مسّ يحول الحجر إكسيراً.

فنظرة من النبي صلى الله عليه وسلم تقلب الأعرابي الجاهل عارفاً بالله منوراً في الحال.

وإن سألت ميزاناً، فدونك عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل الإسلام وبعده.

ومثالهم:البذرة والشجرة التي أعطت ثمارها اليانعة دفعة واحدة.

فحوّل ذاك النظر النبوي وهمّته الفطرَ المتفحمة في الجزيرة العربية إلى ألماسات لامعات. وتحولت السجايا المظلمة المحرقة ـ كالبارود الأسود ـ إلى خصال فاضلة نيّرة.

الكذب لفظ كافر:

حبة واحدة من صدق تبيد بيدراً من الاكاذيب.

إن حقيقة واحدة تهدم صرحاً من خيال.

فالصدق أساس عظيم وجوهر ساطع،

وربما يتخلى عن مكانه للسكوت، إن كان فيه ضرر، ولكن لا موضع للكذب قطعاً، مهما يكن فيه من فائدة ونفع.

الزم الصدق

ليكن كلامك كله صدقاً ولتكن أحكامك كلها حقاً، ولكن عليك أن تدرك هذا: إنه لا حق لك أن تبوح بالصدق كله.

اتخذ هذه القاعدة دستوراً لك: (خذ ما صفا دع ما كدر) . فانظر بُحسن وشاهد بُحسن ليكون فكرك حسناً، وظُن ظناً حسناً، وفكّر حسناً لتجد الحياة اللذيذة الهانئة.

إن الأمل المندرج في حسن الظن ينفخ الحياة في الحياة ، بينما اليأس المخبوء في سوء الظن ينخر سعادة الإنسان ويقتل الحياة.

المسلمون والمدنية الحاضرة

إن تنامي الأخوة بين المسلمين يُسرع في هزّ المدنية الحاضرة ويقرب دمارها، وستتبدل صورة المدنية الحاضرة، وسيقوض نظامها. وعندها تظهر المدنية الإسلامية، وسيكون المسلمون أول من يدخلونها بإرادتهم.

ظاهر وباطن

إن معظم هؤلاء المدنيين، لو قلبتَ باطنهم على ظاهرهم، لرأيت في صورتهم سيرة القرد والثعلب والثعبان والدب والخنزير. نعم! إن خيالك ليمس فراء تلك الحيوانات وجلودها.. وآثارهم تدل عليهم.

الميزان الوحيد

إنه لا ميزان في الأرض غير ميزان الشريعة. إنها رحمة مهداة نزلت من سماء القرآن العظيم.

من ثمرات الهدى والدهاء

الهدى ينور الروح حتى تثمر حباتها سنابل، فتتنور الطبيعة المظلمة، وتتوجه الاستعدادات نحو الكمال. ولكن يجعل النفس الجسمانية خادمة مطيعة. فيضع في سيماء الإنسان الساعي الجاد صورة المَلَك .أما الدهاء فيتوجّه مقدماً إلى النفس والجسم ويخوض في الطبيعة، ويجعل النفس المادية مزرعة لإنماء الاستعداد النفساني وترعرعه، بينما يجعل الروح خادمة، حتى تتيبس بذورها وحباتها، فيضع في سيماء الإنسان صورة الشيطان.

بين السعادة والوحشية

الهدى يمنح السعادة لحياة الإنسان في الدارين وينشر فيهما النور والضياء، ويدفع الإنسان إلى الرقي. أما الدهاء الأعور كالدجال، فيفهم الحياة أنها دار واحدة فحسب، لذا يدفع الإنسان ليكون عبد المادة، متهالكاً على الدنيا حتى يجعله وحشاً مفترساً .

سلوكان مختلفان

في نظر الدهاء: لا مالك للنعم المبثوثة على الأرض ولا مولى يرعاها، فيغتصبها دون شكران، إذ الاقتناص من الطبيعة يولد شعوراً حيوانياً.

أما في نظر الهدى فإن النعم المبسوطة على الأرض هي ثمرات الرحمة الإلهية، وتحت كلٍ منها يد المحسن الكريم. مما يحض الإنسان على تقبيل تلك اليد بالشكر والتعظيم.

المجاز والجهل

إذا تسلَّم الجهلُ المجازَ حوّله إلى حقيقة إذا وقع المجاز من يد العلم إلى يد الجهل ينقلب حقيقة ويفتح أبواباً إلى الخرافات. فلقد رأيتُ أيام صباي خسوف القمر، سألتُ والدتي عن السبب، فقالت: ابتلعه الثعبان. قلت: لِمَ يشاهد إذن؟. قالت: الثعابين هناك نصف شفافة!

وهكذا ظُن المجاز حقيقة. إذ يخسف القمر بأمر إلهي بحيلولة الأرض بين الشمس والقمر وعند نقطتي تقاطع مدارهما وهما الرأس والذنب.

وقد أطلق على ذينك القوسين الموهومين اسم " التنين " أي الثعبان ولكن الاسم الذي أطلق حسب تشبيه خيالي تحوّل إلى مسمىً (حقيقي).

المبالغة ذم ضمني

إذا وصفت شيئاً فصفْه على ما هو عليه. أعتقد أن المبالغة في المدح ذم ضمني.

الشهرة ظالمة

الشهرة مستبدة متحكمة، إذ تُمَلِّكُ صاحبَها مالا يملِك ، فالخواجة نصر الدين (جحا) لا يملك من لطائفه المنتشرة غير العُشر.

وهالة الخيال التي وضعت حول رستم السيستاني قد أغارت على مفاخر إيران لعصر كامل. فلقد انتعش الغصب وتضخم ذلك الخيال، حتى اختلط بالخرافات وألقى الإنسان فيها.

الذين يعزلون الدين عن الحياة يريدون المهالك

إن خطأ تركيا الفتاة نابع من عدم معرفتهم أن الدين أساس الحياة. فظنوا أن الأمة شيء والإسلام شيء آخر؛ وهما متمايزان! ذلك لأن المدنية الحاضرة أوحت بذلك واستولت على الأفكار بقولها: إن السعادة هي في الحياة نفسها إلاّ أن الزمان أظهر الآن أن نظام المدنية فاسد ومضر .

والتجارب القاطعة أظهرت لنا: أن الدين حياة للحياة ونورها وأساسها إحياء الدين احياء لهذه الأمة. والإسلام هو الذي أدرك هذا.

إن رقي أمتنا هو بنسبة تمسكها بالدين، وتدنيها هو بمقدار إهمالها له، بخلاف الدين الآخر. هذه حقيقة تاريخية، قد تنوسيت.

الموت ليس مرعباً كما يُتوهم

الموت تبديل مكان وتحويل موضع وخروج من سجن إلى بستان. فليطلب الشهادة من يريد الحياة . والقرآن الكريم ينص على حياة الشهيد.

الشهيد الذي لم يذق ألم السكرات يُعدّ نفسه حياً. وهو يرى نفسه هكذا، إلاّ أنه يجد حياته الجديدة نزيهة طاهرة أكثر من قبل، فيعتقد أنه لم يمت. والنسبة بين الأموات والشهداء شبيهة بالمثال الآتي:

رجلان يتجولان في الرؤيا في بستان زاهر جامع لأنواع اللذائذ.

أحدهما يعرف أن الذي يراه هو رؤيا، لذا لا يستمتع كثيراً، وربما يتحسر. والآخر يظن أن ما يراه في الرؤيا حقيقة في عالم اليقظة فيستمتع ويتلذذ حقيقة.

الرؤيا ظلُ عالم المثال، وعالم المثال ظلُ عالم البرزخ، ومن هنا تتشابه دساتير هذه العوالم.

السياسة الحاضرة شيطان في عالم الأفكار ينبغي الاستعاذة منها

إن سياسة المدنية الحاضرة تضحي بالأكثرية في سبيل الأقلية، بل تضحي قلةٌ قليلة من الظلمة بجمهور كبير من العوام في سبيل مقاصدها.

أما عدالة القرآن الكريم، فلا تضحي بحياة بريء واحد، ولا تهدر دمه لأي شيء كان، لا في سبيل الأكثرية، ولا لأجل البشرية قاطبة. إذ الآية الكريمة: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:٣٢]، تضع سرّين عظيمين أمام نظر الإنسان:

الأول: العدالة المحضة ، ذلك الدستور العظيم الذي ينظر إلى الفرد

والجماعة والشخص والنوع نظرة واحدة، فهم سواء في نظر العدالة الإلهية مثلما أنهم سواء في نظر القدرة الإلهية. وهذه سنة دائمة. إلاّ أن الشخص يستطيع ـ برغبة من نفسه ـ أن يضحي بنفسه، من دون أن يُضحّى به قطعاً، حتى في سبيل الناس جميعاً. لأن إزهاق حياته وإزالة عصمته وهدر دمه بإبطال حق الناس جميعاً شبيه بإزالة عصمتهم جميعاً وهدر دمائهم جميعاً.

والسر الثاني: هو لو قتل مغرورٌ بريئاً دون ورع، تحقيقاً لحرصه وإشباعاً لنزواته وهوى رغباته، فإنه مستعد لتدمير العالم والجنس البشري إن استطاع.

الضعف يشجع الخصم

أيها الخائف الضعيف!

إن خوفك وضعفك يذهبان سدىً، لا طائل وراءه، بل يكونان عليك لا لك لأنهما يشجعان الآخرين ويثيران شهيتهم لافتراسك.

لا تفرط فيما يعجبك

قد يكون دواء مرضٍ داءً لداء آخر وينقلب بلسَمُه الشافي سماً زعافاً، إذ لو جاوز الدواءُ حدّه انقلبَ إلى ضدّه.

عين العناد ترى المَلَك شيطانا

أمر العناد هو: أنه إذا ما ساعد شيطانٌ امرءاً قال له: إنه " مَلَكٌ " وترحّم عليه. بينما إذا رأى مَلَكاً في صف مَن يخالفه في الرأي؛ قال: " إنه شيطان قد بدّل لباسه فيعاديه ويلعنه.

لا تثر الاختلاف لأجل الأحق بعد وجدانك الحق

يا طالب الحقيقة!

إن كان الاتفاق في الحق اختلافاً في الأحق، يكون الحقُ أحقّ من الأحقِّ، والحسنُ أحسنَ من الأحسن.





المحتويات